قصص بوليسية للأولاد

لغز الساقية المهجورة

Looloo
www.dvd4arab.com

«أم شلبى»

أم شلبى

كان المغامرون الثلاثة ، «عـامر» ، و«عـارف» ، و«عالية» ومعهم الصديق الوفىّ الأمين «سمارة» ، منهمكين فى الإعداد لرحلة الغد . كانوا يشعرون بالغبطة والسعادة ، فغداً سوف تبدأ إجازة نصف السنة الدراسية . وكان أسعدهم هو الكلب «روميل» ، الذى أحسّ بغريزته أن فى الأمر شيئاً هامًّا غير عادى . أما القطّ «مرجان» فكان هادئاً رزيناً كعادته . .

فقد وعدهم والدهم أن يقضوا فترة الإجازة فى المنزل الصغير الجميل الذى يملكه فى زمام بلدة «سنديون» بمحافظة القليوبية» . وتقع هذه البلدة على الطريق الزراعى ، وعلى مسافة ما يقرب من نصف الساعة بالسيارة من وسط مدينة القاهرة .

وقد شيّد والدهم هذا المنزل قرب عشرة فدادين يملكها مزروعة

بالموالح : البرتقال واليوسفىّ والليمون . وعلى بعد قليل من المنزل تمرّ الترعة الرئيسية التى تغذى الناحية بمياه الرىّ .

وبجاور المنزل «دوّار» صغير ، كان يستعمل فيما مضى لإيواء الجاموس والأبقار والماشية . أما الآن فهو خاوٍ لا يحتوى إلا على بعض الأدوات الزراعية ، منها المعاول والفئوس ، ونورج قديم نزعت عنه التروس ، حيث استُبدل به الجرّار البخارى . .

وعلى بُعد مائة متر من المنزل تقع ساقية نضب ماؤها ، وبطل استعمالها ، حيث استُبدلت بها الطلمبة الآلية . وإن كانت لا تزال تحتفظ بقواديسها [1] .

وكان المغامرون يعرفون كل هذه الأشياء جيداً . فكم قضوا فى هذه الناحية أوقاتاً طيبة مع والديهم ، اللذين كانا يصطحبانهم كلما سمحت ظروفهما بذلك لزيارة الأرض . وهو نادراً ما كان يحدث نظراً لانهماك والدهم فى عمله بالقاهرة .

أما المنزل الصغير فكان يُغلق على مدار العام ، ولا يُفتح إلا لاستقبالهم إبّان هذه الزيارات الخاطفة المفاجئة ! . .

° ° °

(١) القادوس هو آنية فخارية أو معدنية تركب على عجلة الساقية العمودية لرفع المياه من البئر العميقة إلى سطح الأرض .

وكان المغامرون لا يطيقون صبراً فى انتظار الصباح ، بعد أن سبقتهم إلى هناك سيارة تحمل لهم أمتعتهم وبعض المأكل ، ودرّاجاتهم . والصنانير لصيد السمك من الترعة ، وبنادق الرش لصيد العصافير . وجلد النمر الذى أهداه المهراجا المزيّف إلى «عالية» .

فقد أصرّت «عالية» على أخذه معها لتفرشه على أرض الصالة البلاطية ، اتقاء لبرد الريف فى شهر يناير . .

وكان الوالدان يجلسان وسطهم وهما يزوّدانهم بنصائحهما الأخيرة .

الوالد : رجائى الوحيد هو أن تكفّوا عن الشقاوة طوال إقامتكم هناك ، وأن تبتعدوا عن الزجّ بأنفسكم فى المغامرات كعادتكم !

عالية : نعدك بذلك يا بابا ! . .

الوالدة : وستجدون «أم شلبى» فى استقبالكم بالمنزل . وهى التى ستقوم بإعداد الطعام والخدمة ونظافة المنزل . .

و«أم شلبى» هذه فلاّحة صميمة طيّبة . وهى زوجة الخفير الذى يشرف على الحراسة فى بساتين الفاكهة ، كما تشرف هى على حراسة المنزل فى أثناء غيابهم !

° ° °

كانت السيارة تسير بهم بجوار الترعة فى الطريق الضيّق غير الممهد

وسط المزارع والبساتين ، حتى وصلت بهم إلى بوابة المنزل .

وماكادوا يترجلون حتى هلّت عليهم «أم شلبى» وهى تهشّ فيهم بوجهها السمح .

أم شلبى : أهلاً . . أهلاً . . يسعدنى أن أراكم ! . . لقد سمعت عنكم كثيراً ! . .

لم يكن المغامرون قد رأوا «أم شلبى» من قبل . ولكنهم أنسوا لها من أول وهلة ، وشعروا نحوها بالودّ والعطف .

اخترق المغامرون الطرقة الطينية المؤدّية إلى باب المنزل من البوابة الخارجية . وكان «سمارة» يسير خلفهم ، يتبعه «**روميل**» . وكان «سمارة» يتطلّع إلى ما حوله . فقد كانت هذه أولى زياراته للمنزل والبساتين . وعندما وصل إلى الباب ، رأى «سقّاطة» ضخمة أثرية مثبتة فى وسطه . وكانت هذه السقّاطة من الحديد ، على شكل كفّ آدمى يمسك بكرة ، وتستعمل فى الطرق على الباب .

أمسك «سمارة» بالسقّاطة وطرق بها الباب فجأة بشدّة فجفلت «عالية» من الصوت العالى الرّنان الذى شاع صداه فى أركان الصالة الفسيحة . .

عالية : ما هذا يا «سمارة» . . هل ابتدأت الشقاوة من الآن؟

ودخل المغامرون المنزل بعد أن اعتذر «سمارة» عن شقاوته .

فوجدوه أنيقاً نظيفاً مرتباً . وكانت «أم شلبى» تتبعهم مرحّبة مهلّلة .

أم شلبى : أنا نظّفت البيت ورتّبته . . ولكنى احترت أين أضع هذا القط الذى لم أر أكبر منه فى حياتى ! ! . .

ضحك الجميع على سذاجتها ، وتوجّهت «عالية» إلى جلد النمر الذى كوّمته «أم شلبى» فى ركن من الصالة ، وسحبته وفرشته فى وسطها .

عالية : هذا جلد نمر يا «أم شلبى» . . اصطدناه بأنفسنا فى الهند . . سنجلس عليه هنا لنتدفأ به من البرد . .

أم شلبى : أمّا أنا فلن أقربه . . وتكفينى حرارة الفرن ! . .

صعد المغامرون إلى الطابق العلوى الذى كان يحتوى على غرفتى نوم . احتل إحداهما «عامر وعالية» ، والأخرى «عارف وسمارة» . أما «روميل ومرجان» فكانا يرقدان معهما متجاورين داخل الغرفة . والكلب والقط قد رضيا عن طيبة خاطر بهذا الجوار ، فهما يدركان النتيجة لو قام بينهما شجار ، وهو الطرد والنوم خارج الدار ! ! . .

° ° °

دخلت «عالية» المطبخ فوجدت «أم شلبى» منهمكة فى صنع بعض الفطير «المشلتت» اللّذيذ ، والجبن القريش ، والحمام المحشوّ بالفريك .

كان أول ما لفت نظرهم هو «خيال المآتة»

عالية : من سيأكل كلّ هذا يا «أم شلبى» ؟

أم شلبى : أنتم طبعاً . . بعد رجوعكم إلى المنزل من الغيطان ستطلبون المزيد . . هواء الريف يفتح الشهيّة !

عالية : اعملى معروف يا «أم شلبى» اقفلى الشباك . . الدنيا برد !

أم شلبى : الهواء يدفع الشباك لأنّ الأكرة مكسورة ! وسأخبر «أبو شلبى» ليرسل لنا من يصلحها . .

قالت هذا وتوجّهت ناحية الشباك وأحكمت إغلاقه ، ولكنها ماكادت ترجع إلى «عالية» حتى هبّ الهواء ففتحه ثانية .

أم شلبى : على كل حال ياست «عالية» الدّار أمان . . وليس فى المنزل ما يغرى بالسرقة . . و«الكرار» وبه الخزين مغلق بالمفتاح .

عالية : وأين المفتاح ؟

أم شلبى : لا أدرى . . يمكن مع الست الكبيرة فى مصر ! ! . .

ذهبت «عالية» إلى باب «الكرار» الموجود داخل المطبخ وحاولت فتحه ولكنها لم تتمكن من ذلك . . .

اندهشت «عالية» من ذلك ! هل سُهِى على والدتهم أن تسلمهم المفتاح قبل سفرهم ؟ أم هى تعلم أن بابه مفتوح ! هذا لا يهم الآن ، فستنجلى الحقيقة عند وصولها بعد أيام !

خرجت «عالية» من المطبخ فى طريقها إلى الصالة ، فوجدت

إخوتها و«سمارة» على أهبة مغادرة المنزل . وكان «عامر» يحمل بندقية الرشّ فى يده ، و«عارف» و«سمارة» يمسكان بصنانير الصيد ، و«روميل» يتبعهم وهو يهزّ ذيله فرحاً . أما «مرجان» فقد فضّل أن يتسرّب فى خلسة إلى المطبخ فى طلب الطعام .

عالية : إيّاكم والتأخير . . فالغداء فى تمام الواحدة . . أما أنا فسأمكث اليوم مع «أم شلبى» لأتعلم منها كيفيّة عمل «المشلتت» وحشو الحمام !

° ° °

خرج الثلاثة إلى حديقة المنزل الصغيرة المزروعة بأشجار الخوخ والبرقوق والمشمش ، ليستقلّوا دراجاتهم التى كانت تستند إلى جدار المنزل . وكان أوّل ما لفت نظرهم هو «خيال المآتة» المقام وسط أشجار الفاكهة . كان متقن الصّنع حتى خيل إليهم أنه تمثال رجل حقيقى .

سمارة : ما رأيكم فى أن نضع على جسمه بعض الملابس الجديدة ، وعلى رأسه طاقية أو عمامة لتقيه البرد ؟

عارف : هذه فكرة جميلة . . أنا متبرّع له بكوفيّة !

عامر : وأنا بجاكتة قديمة !

سمارة : وأنا بطاقية ! وسأسميه «شلبى» ! ! . .

عامر : إيّاك أن تناديه بهذا الاسم على مسمع من «أم شلبى» ! فقد تظن أننا نهزأ بها . والآن هيا بنا نزور الساقية المهجورة . . وهناك بجوارها فى الترعة موقع غنى بالبلطى والقراميط تصطادان منه . أما أنا فسأجوب المزارع فى طلب العصافير . وسوف أوافيكم قبل الظهر .

توجهوا بدرّاجاتهم إلى الساقية . فوجدوها كسابق عهدهم بها . . تقع مهجورة وسط المزروعات والأشجار . أطلّوا فى بئرها العميقة فوجدوها جافة تنمو فيها بعض الحشائش . وبجوار الساقية مبنى من الطين تداعت جدرانه ، كان يأوى فيما مضى الجاموسة التى كانت تدير الساقية .

وقفوا أمام الساقية ينظرون إليها وهم يتعجبون ! لماذا تركت هذه الساقية هكذا ، مع أنها خربة مهجورة ؟

عامر : لا أدرى لماذا ترك والدنا هذه الساقية مكانها وقد أصبحت عديمة الفائدة ، بعد أن حلّت محلها الآن طلمبات المياه ؟

عارف : كان الأجدر به أن يزيلها ويزرع مكانها أشجاراً ؟ سوف أقترح عليه ذلك ! . .

حاول الثلاثة إدارة الساقية بكل ما فيهم من قوة ، ولكنها استعصت عليهم .

سمارة : إن إدارتها تحتاج إلى جاموسة أو ثور أو جمل . . ونحن

لا نملك واحداً منها . .

عارف : يمكننا أن نستعير جاموسة « أم شلبى » ! أو جمل الشيخ « رفاعى » مستأجر البساتين !

عامر : وما الحاجة لنا بإدارتها ؟ لا تفكر فى شىء من ذلك يا « عارف » ! لا فائدة ترجى من وراء إدارتها بعد أن جفّت مياهها ! هيّا بنا لانضيّع وقتنا فيما لا يفيد ! . . فنحن لم نأت هنا للفرجة على ساقية مهجورة ! ! . .

وهكذا قضى ثلاثتهم أول صباح لهم فى الرياضة وصيد السمك والاستكشاف فى الغيطان المجاورة .

وما إن حانت الساعة الواحدة حتى كان الجميع يجلسون على المائدة ، يلتهمون الطعام الريفى الشهىّ اللذيذ الذى أعدته لهم « أم شلبى » .

« السقاطة »

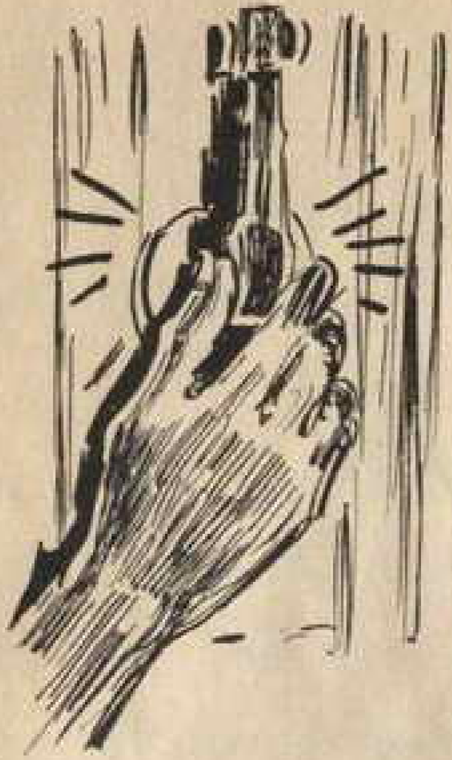

وقرب حلول الظلام ، بدأت « أم شلبى » فى إيقاد لمبات الجاز ، حيث لم يكن بالمنزل كهرباء . ثم أوصتهم بأن يبعدوا الكلب والقط عنها تفادياً من شبوب حريق بالمنزل .

وبعد أن انتهى المغامرون من تناول العشاء ، جلسوا فى الصالة يتسامرون ويتدارسون فى برنامج الغد . فى حين كانت « عالية » تفترش جلد النمر الموضوع على الأرضية ، وهو مكان جلوسها المفضّل .

عالية : الحال هنا هادئ بدرجة غير عادية . .

عارف : يبدو أننا سنقضى هذه الإجازة فى استرخاء واستجمام . . بلا إثارة أو مغامرة ! الجوّ هنا ينذر بذلك !

عامر : من يعلم ؟ لعله الهدوء الذى يسبق العاصفة ! ! . . إنى أتوجّس شيئاً ما سيحدث ! . . إنه شعور داخلى ! . .

ولكن «عامر» توقف فجأة عن الحديث ، وأخذ يحدق فى النافذة المطلّة على حديقة المنزل . لقد خيّل إليه أنه رأى شبحاً يتحرك ، فقال :

عامر : هناك من يتحرك فى الحديقة يتطلّع إلينا . . الزموا أماكنكم ولا تتحركوا لنرى ماذا سيفعل !

سمارة : هل نسيت «شلبى» ؟ ليس هناك فى الحديقة غيره !

عامر : أين ذكاؤك يا «سمارة» ؟ «شلبى» ثابت فى مكانه لا يتحرك !

عالية : ومن هو «شلبى» هذا ؟

سمارة : «شلبى» اسم أطلقناه على «خيال المآتة» الموضوع فى الحديقة !

عامر : غريب ! . . ولكنى لا أرى شيئاً الآن . . ومع ذلك خيّل لى تماماً أنى رأيت شخصاً يقف هناك يحدق فى النافذة ! ربما كنت مخطئاً !

قال هذا وذهب إلى النافذة وأسدل ستائرها .

وفى الساعة التاسعة بدءوا يشعرون بالنعاس ، فتسرّب الواحد منهم وراء الآخر إلى غرفته .

أما «أم شلبى» فقد توجّهت إلى حجرة بجوار المطبخ لتنام فيها ،

بعد أن قامت بإطفاء شعلات الجاز ، وأصبح المنزل فى ظلام دامس .

* * *

كانت «عالية» تتحدث إلى أخيها «عامر» وهى تتثاءب فى فراشها ، وقالت له : لوكان هناك شخص غريب فى الحديقة لنبح عليه «روميل» . . لاشك أنك كنت واهماً . .

عامر : هذا صحيح . . لقد فاتنى ذلك !

ولكن «عامر» لم يشأ أن يخبر أخته بأن «روميل» لم يكن فى وضع يسمح له برؤية الحديقة من النافذة وهو يرقد على أرض الصالة . كما أن وقع الأقدام لا يُسمع وهى تدبّ على الأرض الطينية !

وفى الحجرة المجاورة كان «سمارة» يرقد فى فراشه ، فى حين كان «روميل» يرقد بجوار السرير بالقرب من سيده . وكان «روميل» قلقاً يزوم و«يطرطق» أذنيه من وقت إلى آخر .

لم يأبه «سمارة» بما يصدر عن كلبه من حركات وإشارات . فقد أوّلها على أن «روميل» يطارد فى نومه وأحلامه فأراً . . أو القط «مرجان» ! وهذه هى عادته على كل حال عندما ينام فى مكان غريب !

راح الجميع فى سبات عميق على أثر مجهود اليوم الطويل الشاق .

وفى الصباح وبعد تناول الإفطار ، اتفقوا على الخروج إلى المزارع للصيد والتريّض . ولم يكن أمامهم ما يفعلونه غير ذلك . .

أما « عالية » فقالت إنها ستصلح جاكتتها الصوفية . وستلحق بهم بعد قليل عند الترعة .

وفى الطريق إلى الخارج . توقّف « عامر » عند « خيال المآتة » ، وأخذ ينظر إليه بإمعان ، ثم قال :

عامر : إن « شلبى » يبدو فى الظلام كرجل حقيقى ! إذا كنا نحن نراه كذلك . . فلاشك أن العصافير معذورة ! . .

عارف : خاصة بعد أن كسوناه بهذه الملابس الأنيقة . .

عامر : ما رأيكما فى أن نفحص آثار الأقدام هنا . . ربما وجدنا بعض الآثار الغريبة عن أقدامنا نحن ! لأنى مازلت أشك فى أننى لمحت شبحاً بالحديقة فى الليلة الماضية !

ولكن بعد أن فحصوا المكان بدقة ، لم يجدوا أىّ أثر واضح . فقد كانت الآثار كلها مختلطة مشوّشة . .

ذهب « عامر » إلى حيث يقف « شلبى » مادّاً ذراعيه الخشبيتين فى وضع أفقىّ ، فى حين تتدلّى أكمام جاكتته إلى أسفل . وكان يوجد بالقرب منه خصّ صغير مصنوع من الغاب وفروع الأشجار الجافة . وبه بعض الفئوس والمقاطف المستعملة فى الحديقة .

وكان « روميل » يجول فى المكان يشمّ كل شبر من الأرض . وإذا به يجرى فجأة ويدخل الخصّ الصغير ، ثم يخرج منه وهو يقبض على شىء بأسنانه الحادّة . ولما تناوله منه « عامر » وجده فردة قفّاز صوفى ! . . ولكن يا له من قفاز كبير لكفّ ضخمة . لابد أن تكون هذه الكفّ لعملاق ! ! . .

عامر : انظرا ماذا اكتشفه « روميل » ؟ أظن الآن أن شخصاً كان هنا يرقبنا بالأمس ! ! . . إذ لو أن صاحبه فقده منذ زمن طويل . . لعاد يفتش عنه ووجده !

عارف : ربما كنت مصيباً فى ظنّك . . ولكن لا داعى الآن لإزعاج « عالية » و« أم شلبى » فلننتظر حتى نكشف عن هذا الغموض . .

سمارة : لك حقّ . . ربما كانت المسألة مجرّد وهم ! . .

عامر : على كل حال لا يمكننا أن نفعل شيئاً الآن . . وما علينا إلا أن نفتح أعيننا جيدا . . ولا أظن أن المسألة مجرد وهم ! فأمامنا الآن دليل ملموس !

° ° °

وفى المساء كان المغامرون يجلسون كالعادة فى الصالة بعد تناول العشاء ، وعيونهم تحدق من خلال النافذة إلى الحديقة . ولكنهم لم

يلاحظوا شيئاً غريباً هناك ! . .

وأخيراً تثاءب «سمارة» وقال : إنى أشعر بالتعب ، وسأصعد لأنام . . ولن يوقظنى الليلة من نومى صوت القنابل أو هزات الزلازل ! ! . .

صعد «سمارة» إلى غرفته ومعه المغامرون الثلاثة . وماكادوا يأوون إلى فراشهم حتى راحوا فى سبات عميق . لقد حلّ عليهم التعب بعد مجهود اليوم الطويل الشاق .

أما «أم شلبى» فقد دخلت المطبخ وأطفأت اللمبة ، ورقدت فى فراشها ونامت لتوّها . . .

وكان السكون المخيف يخيّم على المنزل والحديقة ، ولا يُسمع غير نباح الكلاب ومواء القطط وصياح البوم يأتى من المزارع القريبة .

وعلى حين فجأة ، مزّق صمت الليل صوت قوىّ كالرعد ، انتشر صداه فى أرجاء المنزل الصغير .

استيقظ الجميع على هذا الصوت المدوّى ، وهبّوا من فراشهم كمن يستيقظ على أثر حلم مزعج أوكابوس مخيف . وأخذ «روميل» ينبح نباحاً متواصلاً . أما «مرجان» فقد تسلل واختبأ فى هدوء تحت السرير ! ! صاح «عامر» على أخيه «عارف» فى الغرفة المجاورة قائلاً :

عامر : هل سمعت هذا الصوت يا «عارف» ؟ !

عارف : طبعاً . . إن الأصم يسمعه ! . . لا أظنه الرعد . . فإنى أرى القمر والنجوم من نافذتى والسماء صافية . ونحن لسنا فى رمضان وإلا ظننته مدفع السحور !

سمارة : ماذا تظن هذا الصوت يا «عامر» ؟ .

عامر : لا أعلم ، فقد كنت نائماً . . ولكن يبدو لى أن الصوت قريب جدًّا . . وكأنه داخل المنزل ! . .

وماكاد «عامر يتم جملته ، حتى دوى الصوت الهادر من جديد . لقد سمعوه الآن جيداً بجلاء ووضوح . . إن الصوت هذه المرّة ليس حلماً مزعجاً أوكابوساً مخيفاً . بل هو الحقيقة ! إن صدى الصوت لا يزال يتردد فى آذانهم ، وينتشر فى المنزل يملأ فضاءه !

دخل «عارف وسمارة» على «عامر» وهما يتساءلان : تُرى ماذا يكون مصدر هذا الصوت الدخيل ؟

أخذ المغامرون يفكّرون برهة ، إلى أن نطقت «عالية» :

عالية : هذا صوت «السقّاطة» الضخمة المعلّقة على الباب الخارجى ! إن شخصاً يطرق بها على الباب بعنف ! . . والصوت يتضخّم فى سكون الليل ! هذا هو الصوت الذى سمعناه عندما طرق «سمارة» الباب عند وصولنا ! . .

عارف : ومن تسوّل له نفسه أن يأتى فى مثل هذا الوقت المتأخر . . . إن الساعة الآن الثانية صباحاً ! . .

عالية : أيكون والدنا ؟

عامر : لا أظن ذلك . . إنه لم يخطرنا تليفونيًّا كما وعدنا . . وهو معه أيضاً مفتاح الباب . . .

ظلّوا هكذا صامتين واجمين لا يجدون حلاً أو تفسيراً لذلك . إلى أن دخلت عليهم «أم شلبى» فى هذه اللحظة وهى ترتجف حاملة لمبة الجاز فى يدها .

أم شلبى : هناك من يطرق الباب . . أنا خائفة . . ولن أنزل لأفتح الباب . . ولا أنصحكم بالنزول ! . .

ابتسم «عامر» لها وهو يطمئنها وقال :

عامر : لا تخافى يا «أم شلبى» . . ربما كان الطارق أحد الجيران يطلب النجدة ! سنطل من النافذة ونسأله من هو؟

فتح «عامر» النافذة» وأطلّ منها على الحديقة ، وكان شبح «شلبى» واضحاً مميزاً فى ضوء القمر ، وصاح قائلاً :

عامر : من هناك؟ . . من هناك؟

حبس الجميع أنفاسهم فى انتظار سماع صوت الطارق ومن يكون .

ولكن لم يكن هناك مجيب ! . . وكل ما سمعوه كانت أصداء صوت «عامر» تتجاوب فى أنحاء الحديقة !

فأعاد «عامر» الكرّة وصاح :

عامر : من الذى يطرق الباب ؟ أجب من فضلك ! . .

ولكنه أغلق النافذة بعد أن يئس من وصول الردّ ، وبعد أن رأى «عالية» وهى ترتعش من الهواء البارد الذى هبّ عليهم من المزارع .

قال : لا أحد هناك . . لا صوت ولا حسّ !

عالية : أتظنون أن أحدهم يمزح معنا ؟

عارف : من الجائز . . ولكن ياله من مزاح ثقيل غير مستساغ ! . .

عامر : إذا كان الأمر كذلك فهيا بنا الآن نعاود النوم !

عالية : وهل سيأتينا النوم ونحن فى انتظار هذا الصوت من دقيقة لأخرى !

عامر : لنأمل أنه سوف يكفّ عن الطرق . . وسنتحرّى الأمر عنه فى الصباح . .

«خيال المآتة»

اجتمع المغامرون فى الصباح ، على مائدة الإفطار ، وكانوا يتحدثون . عن لغز هذا الطارق الليلى . الذى يدق على الباب بالسقاطة ، بعنف . . . ثم يتبخَّر فى الهواء ! . . وهل هو وهْم . . أوشبح . . أوحقيقة !

عامر : ما رأيكم الآن فى إجراء بعض التجربات فى الحديقة ، وأمام الباب . لعلنا نصل إلى نتيجة ؟

عالية : لابد أن نصل إلى الحقيقة . . ولا يمكن أن تمضى ليلة أخرى نهباً «للوساوس والهواجس !

وافق الجميع على اقتراحه . وخرجوا من الباب يقودهم «روميل» .

أما «مرجان» فكان يلهو فى الحديقة منذ الصباح الباكر .

قال «عامر» بعد أن تمهَّلوا قليلاً عند العتبة ، وكانت عيونهم تتطلَّع هنا وهناك عن أى أثر قد يميط لهم اللثام عن هذا اللغز المحيِّر .

عامر : المفروض أنه لا توجد غير آثار أقدامنا ، وأقدام «أم شلبى» . . فلا أحد غيرنا وطئت أقدامه أرض الحديقة منذ وصولنا !

عالية : يعنى إذا عثرنا على آثار غيرها ، **فهل تكون للطارق الغامض** ؟

انتشر المغامرون فى الموقع الذى يؤدى من البوابة الخارجية إلى باب المنزل . إن آثار أقدامهم ، وأقدام «أم شلبى» و«روميل» و«مرجان» تظهر بوضوح وجلاء . أما فيما عدا ذلك فلا شيء هناك ! !

وأخيراً وبعد التدقيق ، لمحت «عالية» بنظرها الثاقب ، آثار قدمين كبيرتين ثقيلتين غائرتين ، تحاذى جدار المنزل .

عالية : انظروا ! لقد اكتشفت شيئاً هاماً !

تتبَّع المغامرون هذه الآثار ، فوجدوا أنها تأتى من ناحية «خيال المآتة» . ثم تسير فى محاذاة المنزل ، حتى تتوقَّف بجوار عتبة الباب .

وكان «عارف» يفحص هذه الآثار فى صمت وهو يسير معها ذهاباً وإياباً ، وهو يهز رأسه تعجباً . . . ثم قال :

عارف : ألا تلاحظون أن هذه الآثار تسير فى اتجاه واحد ؟ !

عامر : هذا صحيح . فهى تأتى من ناحيه «خيال المآتة» . . حيث تتوقف عند عتبة الباب ! أليس هذا عجيباً ! . .

عالية : وهذا يعنى أن صاحب هذه الآثار لم يعد أدراجه من حيث أتى ! ! . . أيكون قد هبط علينا من السماء « بالبراشوت » ! ! . .

سمارة : وإذا كان لم يرجع . . ولم يدخل المنزل . . فأين ذهب ؟

عالية : هذا هو بيت القصيد . . إنه لغز ! ! . .

عامر : أنا متأكد الآن أن هذه آثار قدميه . وأن القفاز الذى عثر عليه « روميل » هو قفازه !

عارف : الآن نحن على يقين من أن قدميه كبيرتان ، وأن كفيه غليظتان . . وأنه وصل حتى بابنا ولم يعد أدراجه ! هذه هى كل معلوماتنا عنه !

سمارة : ولكن ما نجهله هو لماذا يطرق بابنا فى الليل ويختفى ؟ ! ! هذا هو اللغز الحقيقى الذى يبحث عن الحل ! . .

عالية : على كل حال أرجو أن يكفّ عن مزاحه . . وأن يتركنا فى حالنا !

عامر : هل تظنون من الأصوب أن نخطر والدنا تليفونياً ؟

عارف : هذا من واجبنا . . ربما كان فى الأمر سرٌّ خطير !

• • •

لم يتمكن المغامرون من الاتصال بوالدهم تليفونياً . فقد كان

وأخيراً وبعد التدقيق تجد « عالية » آثار قدمين كبيرتين .

تليفون العمدة معطّلاً . وبعد أن تشاوروا فى الأمر فيما بينهم ، استقرّ رأيهم على كشف هذا الغموض ودوافعه بأنفسهم ، إلى أن يتم إصلاح التليفون .

عامر : إذن سنبدأ تحرياتنا من هذا « الدوّار » القريب .

توجّه الجميع صوب الدوّار ، وما كادوا يصلون بالقرب منه ، حتى شاهدوا آثار الأقدام الكبيرة الغائرة . . هى نفسها التى تظهر بجوار جدار المنزل !

تطوّع « سمارة » لتسلّق جدار الدوّار ، وقفز من نافذة علوية صغيرة إلى الداخل . ثم خرج إليهم بعد برهة وجيزة ، وهو يحمل لهم خبراً هاماً .

سمارة : يبدو على الدوّار أنه مهجور من مدة طويلة . ولكنى عثرت بجوار « النورج » على بطانية قديمة ووسادة . . وعلبة سجائر فارغة . . وبعض أعقاب السجائر . . وبقايا طعام طازج ! ! . .

قال هذا وناول « عامر » العلبة الفارغة وأعقاب السجائر . .

عامر : أعتقد أن هذا الطارق المجهول يختفى فى هذا الدوّار ليلاً . . ولابدّ أن يكون المفتاح فى حوزته ! ! . . فالنافذة صغيرة يتعذر عليه المرور منها !

سمارة : وهذا ما يدهشنى ! . . فالمكان لا يصلح إلاّ لنوم

البهائم ! لقد كدت أختنق فيه !

عالية : ربما كان هذا المجهول يراقبنا . . فالدوّار أقرب مكان للمنزل يصلح لهذا الغرض ! كما أنه بعيد عن الشبهة !

عارف : أوربما هو ينتظر بفارغ الصبر رحيلنا عن المنزل !

سمارة : ولماذا ؟ فليس بالمنزل ما يستحق كل هذا الاهتمام !

عالية : ونحن لا نقف فى سبيل أحد !

عامر : من يعلم ؟ قد يكون فى هذا المنزل ما يستحق منه هذه المخاطرة ! ! ونحن نقف أمامه حائلاً فى سبيل الحصول عليه !

تتبّع المغامرون آثار أقدام الضيف الثقيل منذ خروجه من الدوّار . حتى اختفت بين المزروعات .

عالية : على الأقل آثار أقدامه هنا تروح وتجىء . . فهى ليست فى اتجاه واحد ! ! . كما هو الحال أمام المنزل .

سمارة : تُرى من يكون هذا الشخص ؟ أيكون متشرداً أو لصاً ؟

عارف : ولماذا يطرق متشرّد بابنا ليلاً ؟ وإذا كان لصًّا فهو من باب أولى يخفى صوته وتحركاته . . ولا يعلن عن قدومه بالسقّاطة !

كانت « أم شلبى » فى استقبال المغامرين على الباب الخارجى عندما وصلوا قرب المغرب لتناول العشاء .

وكان « سمارة » يضحك وهو يقول لها مازحاً :

– هل زارك طارق الليل فى أثناء غيابنا ؟ أم أن الدنيا مازالت نهاراً !

أم شلبى : دعه يحضر ! فقد خصصت له بيد « الهاون » ، وبإبريق من الماء المغلى ! سوف أعطيه درساً لن يعاود بعده طرق الباب ! . والآن سأحضر لكم الطعام . .

جلس المغامرون حول المائدة وهم يضحكون . ويعجبون باستعداد « أم شلبى » للاستقبال الحارّ الذى سوف تفاجئ به طارق الليل !

كان ضوء القمر يشع بنوره على الحديقة ، عندما نهضت « عالية » وسارت نحو النافذة ، وقالت :

عالية : سأسدل الستائر حتى لا يتلصص علينا أحد من هذا الخص الصغير !

ولكنها ماكادت تفعل ذلك حتى صاحت :

عالية : أين « خيال المآتة » ؟ ؟ ! . .

أسرع الجميع وتكالبوا حول النافذة ينظرون إلى حيث يقف خيال المآتة يحمى فاكهة الحديقة من هجوم العصافير ! . .

سمارة : لقد اختفى « شلبى » ؟ ! . .

عارف : هذا عجيب . . مستحيل . . لقد شاهدناه من نصف ساعة فقط !

عامر : المهم أنه ليس الآن هناك ! ! . . ولكن أين اختفى ؟ يالها من أحداث غريبة مبهمة تقع حولنا ! ! . .

حلّ الصمت بالمغامرين بعد أن أصابتهم دهشة بالغة . وأخذوا يتشاورون فى الأمر فيما بينهم ، إلى أن قالت « عالية » :

عالية : لابد أن أحداً نزعه من مكانه . . هذا هو التفسير الوحيد !

سمارة : هذا بديهى . . « شلبى » لا يستطيع أن يتحرّك وحده . . ولوكانت الريح شديدة لقلنا إنها اقتلعته !

عارف : ولكن ما هو الداعى لانتزاعه . . أو سرقته ؟ !

عامر : هذا لا يهم الآن . . المهم أن نبحث عن « شلبى » حالاً . وسنأخذ معنا « روميل » ليتعقّب بأنفه هذا اللص . ياله من لص تافه ! لم يجد أمامه غير هذا الخيال فسرقه !

ولكنهم ما كادوا يشرعون فى الخروج ، حتى دخلت عليهم « أم شلبى » مهرولة وهى تصيح وتولول .

اندهش المغامرون من تصرّفها الغريب ، فسألتها « عالية » .

عالية : ماذا دهاك يا « أم شلبى » ؟ هل حدث لك مكروه ؟ أم صادفك طارق الليل ؟ ! . .

أم شلبى : « خيال المآتة » ياستى « عالية » ! ! كان يقف بطلّ

علىّ برأسه من نافذة المطبخ ! ! . .

سمارة : أنت تتوهمين ! «خيال المآتة» لا يمكنه أن يتحرك . . أو يطلّ من النوافذ ! ! . .

أم شلبي : بل هو بعينه ! . وعلى رأسه طاقيتك ! ! أطلّ عليّ برأسه من النافذة . . ثم اختفى ! ! . .

لم يصدّق أحد من المغامرين بطبيعة الحال أن ما رأته «أم شلبي» كان هو حقيقة «خيال المآتة» ! إنها تهرّف !

ولكنه من يكون ؟ ؟ . . لا جدال فى أن هذا شيء غامض محيّر ! أتكون «أم شلبي» قصيرة النظر إلى هذا الحدّ ! ! . .

خرج «عامر» إلى الحديقة وفى يده بطاريته وسار صوب المطبخ ، وأخذ يبحث عن «شلبي» . . وعمّا إذا كان لا يزال يطلّ من خلال النافذة !

ولكنه لم يعثر بالطبع على شيء على الإطلاق . .

استأنف المغامرون تناول طعامهم . وكانوا يشعرون بالإثارة ممّا حدث . ولكن لم يخطر على بالهم أن ما رأته «أم شلبي» هو «خيال المآتة» يطلّ عليها بنفسه من نافذة المطبخ !

عامر : ولكن ليس فى هذا حلٌّ للمشكلة ! .

عارف : ماذا تقصد ؟ . . أية مشكلة ؟

عامر : أقصد . . أين اختفى «شلبي» ؟ كان أمامنا فى الحديقة منذ وقت قريب . . والآن هو ليس هناك ! فأين ذهب ؟

عالية : دعنا ، نحن نفكر فى ذلك الآن . . ربما انتزعه أحد الفلاحين ليضعه فى غيطه !

° ° °

وعندما انتهت «أم شلبي» من إطفاء لمبات الجاز ، كان المغامرون يستغرقون فى نوم عميق ، يحلمون بخيال «المآتة» الذى اختفى . . وطارق الليل الغامض الغريب !

أما «روميل» ، الحارس الأمين ، فكان يرقد بجوار سرير «سمارة» ، وإحدى أذنيه مشرعة إلى أعلى . وهذا يعنى أنه لم يكن مستغرقاً فى النوم .

كان «روميل» نصف نائم . . لقد علّمته أحداث اليوم أن يرهف سمعه ، وكان يشعر بغريزته أن حدثاً ما سوف يقع !

وعندما انتصف الليل ، سمعت تلك الأذن المرهفة صوتاً غير عاديّ . لم يكن هذا الصوت هو صوت «السقاطة» المدوى الرنّان . بل هو صوت وقع أقدام ضعيف خافت ! . .

وكان «سمارة» يستغرق فى أحلامه ، عندما قفز «روميل» وبرك على صدره وهو يزمجر . .

حمل «سمارة» جلد النمر على كتفه ، وخرج يترنح به إلى الحديقة وهناك تدثر به كمعطف.

استيقظ «سمارة» مذعوراً ، وأزاح «روميل» من على صدره وهو يتأفف ، وقال :

– ألم أقل لك مائة مرة ألا تفعل ذلك ! سأطردك خارج الغرفة حالاً أيها الشقى ! . .

وإذا بالصوت الضعيف يصل فجأة إلى سمعه ! هذا صوت وقع أقدام ! أتكون لزائر الليل وهو فى طريقه ليطرق الباب بالسقاطة؟

إذن لا غرابة فى أن «روميل» أيقظه ! ياله من كلب حراسة يقظ أمين ! . .

نهض «سمارة» من سريره فى هدوء تام . ثم أمسك برقبة «روميل» حتى لا يندفع فجأة وراء مصدر الصوت ، فيفسد بتلك الحركة الهوجاء محاولته للقبض على طارق الليل ، ولكيلا يوقظ المغامرين من نومهم الهنيء ! . .

ففتح الباب ببطء وتسلّل منه ، وهو يقول «لروميل» :

– لا صوت ولا حركة يا «روميل» . لقد آن الأوان لأقبض على طارق الليل متلبساً ! . . هذه المرّة لن يفلت من يدى ! . . أشكرك يا «روميل» على إيقاظى فى الوقت المناسب !

«سمارة» . . النمر الكاسر ! ! . .

سمارة

تسلل «سمارة» بجلباب النوم على أطراف أصابعه . وكان يمسك بيده بطاريّة كهربائية ، وباليد الأخرى «روميل» . فقد كان يخشى أن يفلت منه زمام الكلب ، فيفضحه نباحه . . ويفلت منه صاحب وقع الأقدام الدخيل .

كان «سمارة» يتحسّس طريقه حتى وصل إلى الردهة . وهناك أخذ يتصنّت فى سكون الليل ، وهو يربت ظهر «روميل» لتهدئته . لقد تأكد له الآن أن الصوت الخافت يأتى من المطبخ ! . .

ولكن المطبخ مقفل بالمفتاح . . و«أم شلبى» ترقد فى غرفة مجاورة ! فمن يكون هناك ؟ . . وكيف دخل ؟ انتابه الخوف ، وأخذ الشك يساوره .

ولم تكن هناك طريقة لاكتشاف مصدر الصوت ، سوى النظر

خلسة من ثقب المفتاح . انحنى على الثقب فلم ير شيئاً غير شريط من الشعاع القوىّ مصوّب إلى نقطة معينة لم يتبينها من الثقب ! كما وصلت سمعه همسات خافتة !

تعجب «سمارة» لذلك ، فالمنزل يخلو من الكهرباء ! إذن فلابد أن يكون الشعاع صادراً عن بطارية . . ابتدأ قلبه يدق بشدة . . أيكونون لصوصاً ؟ . ولكن ماذا يكون فى مثل هذا المطبخ الريفى يجذب انتباه اللصوص . . أو يستحق السرقة .

رأى أن يخرج إلى الحديقة ، ليطل من نافذة المطبخ ، علّه يكشف ما يجرى فيه من أحداث غامضة !

وفى طريقه عبر الصالة توقف فجأة . وأخذ ينظر طويلاً إلى جلد النمر الملقى على الأرضية . يالها من فكرة شيطانية طرأت الآن على باله ! ! . .

ماذا لو التحف بجلد النمر ، ودبّ على أربع ، مقلداً سير النمر فى الغابة ! لقد سبق أن شاهده وهو يعسّ فى أحراش الهند . . بل اشترك فى صيده أيضاً ! ! وتذكّر كم أصابه من ذعر عندما شاهده لأول مرة وهو يقبع فوق «الماشان» !

لاشك أن هذه فكرة سوف تبثّ الرّعب فى قلوب هؤلاء الطفيليين . وكان يضحك فى سرّه عندما تخيّلهم وهم يولّون أمامه

الأدبار . . خوفاً من بطشه وجبروته ! ! . .

حمل «سمارة» جلد النمر الثقيل على كتفه وخرج يترنح به إلى الحديقة . وهناك تدثّر به كالمعطف ، فشعر بالدفء فى برد الليل القارس . ثم ثبت رأس النمر فوق رأسه كالطاقية ! . . فبدا كأى نمر مفترس . كم كان بودّه أن يراه المغامرون فى هذه اللحظة بزيّه الجديد ! . .

وما كاد يسير فى الحديقة على أربع ، وهو يتجه ناحية النافذة ، حتى شرع «روميل» فى الزمجرة الخافتة ! كان «روميل» يحدق فيه بغضب ودهشة ! إنه لم يتعود بعد أن يراه بهذا اللباس الغريب !

ولما وصل «سمارة» إلى النافذة ، شبّ على قدميه ، وارتكز على إفريزها . ونظر إليه «روميل» ، وشبّ على الإفريز كما فعل سيده !

ولدهشة «سمارة» الشديدة وذعره ، فوجئ برؤية ثلاثة رجال أشداء ، تبدو القسوة المتناهية والشرّ فى عيونهم . وكان أحدهم يهمّ بالخروج من باب حجرة الكرار المفتوح إلى المطبخ ، وهو يحمل صندوقاً خشبياً صغيراً بين ذراعيه ، يكاد ينوء تحت حمله الثقيل ! . .

وفى وسط المطبخ ، رأى بعض الصناديق الصغيرة المماثلة ، وهى تتراص متجاورة ! ! . .

ما هذا الذى يحدث أمامه ؟ إنه لا يصدق عينيه ! أهو فى حلم ؟ !

وكان الرجال يعملون على ضوء بطارية كهربائية قوية مثبتة على المائدة ، ومصوبة داخل باب الكرار ! . .

وفجأة لم يطق «روميل» صبراً على السكوت . . . فنبح ! !

التفت الرجال نحو النافذة فجحظت عيونهم من الذعر والهلع !

أما الصندوق فقد سقط من يد حامله على الأرض من هول ما رأى !

جمد الرجل فى مكانه ، وتسمرت قدماه فى الأرض ، وصاح بصوت مرتعش :

– أترى ما أراه يا «عويضة» ! ! انظر خلفك إلى النافذة ! . .

نظر «عويضة» إلى النافذة ، ثم فرك عينيه وهو لا يصدق نفسه ، وتحشرج صوته ، وقال :

– أصحيح ما أرى ! . . أرى نمراً يجاور ثعلباً ! ! . . أين المفر ؟ لقد هلكنا يا «أبوسريع» ! ! . .

تحير «سمارة» فيما يفعل بعد أن فضحه «روميل» ! فرأى أن أسلم الأمور هو أن يخلع عنه جلد النمر ، وينصرف مسرعاً إلى الخارج قبل أن يلحق به اللصوص ! . .

ولكن أحد الرجال قفز وراءه من النافذة فى سرعة البرق ، وأمسك بتلابيبه . فى حين كان «روميل» يشتبك مع ساق الرجل فى

عراك مرير ، دفاعاً عن سيده . .

ولكن بعد أن تأكد للرجل أنه كلب وليس ثعلباً ، ركله ركلة أطاحت به بعيداً . ثم سحب «سمارة» إلى المطبخ بعد أن أعطاه علقة لن ينسى طعمها مدى الحياة ! . .

عويضة : ها أنذا قد أتيت لك بالنمر المفترس يا «أبوسريع» !

أبوسريع : ماشاء الله . . ما معنى هذه الشقاوة ؟ ! . .

سمارة : أنا الذى أسألكم . . ما معنى وجودكم فى منزلنا بعد منتصف الليل ! . . ليس لكم الحق فى التهجم علينا ! ! . .

لم يلتفت إليه «أبوسريع» . بل أصدر أمره إلى «عويضة» بأن يزج «بسمارة» داخل حجرة الكرار . . هو وكلبه ! . .

استأنف الرجال عملهم غير آبهين «بسمارة» ، وأخرجوا باقى الصناديق الخشبية الصغيرة الثقيلة . ثم أغلقوا باب الكرار عليهما بالمفتاح !

جلس «سمارة» على صندوق خشبى فارغ ، فى حين ربض «روميل» تحت قدميه وهو يهز ذيله هزًّا عنيفاً . وكان «سمارة» ينظر إليه نظرة لوم وعتاب صامتة ! ألم يكن سبباً فى فضح أمره !

ساد المطبخ السكون التام ، ولم يعد «سمارة» يسمع شيئاً . فتأكد أن الرجال قد رحلوا ، وحملوا معهم الصناديق الخشبية الصغيرة .

يالسوء الحظ ! لقد كانت الفرصة أمامه سانحة لاقتفاء أثر الرجال ، وعلى وشك أن يكتشف مكان تلك الصناديق ! وربما تمكّن أيضاً من الكشف عن هويتهم ! . .

ولكن ماذا يمكن أن تحويه تلك الصناديق ؟ صحيح أنها صغيرة ، ولكنها ثقيلة ، بالكاد يقدر على حملها رجل قوىّ مثل «عويضة» ، أو «أبو سريع» !

وهل هى تخص والد أصدقائه المغامرين؟ وإذا كانت تخصه – وهى ولا شك على قدر من القيمة المادية وإلا لما سعى وراءها هؤلاء الرجال – فلماذا يتركها مهملة فى هذا المكان المنعزل عرضة للنهب والسلب ! ! . .

ولكن التفكير لم يسعفه . . فهو الآن فى ورطة ! إنه سيقضى هذه الليلة الليلاء حبيس الكرار ، إلى أن تستيقظ «أم شلبى» فى الفجر لتهيئ طعام الإفطار . وعندئذ سوف تهرع إلى نجدته ، بعد أن تفاجأ بوجوده فى الكرار ذى المفتاح المفقود ! ! . . لاشك أن «أم شلبى» ستفقد عقلها !

كان «سمارة» يرتجف من البرد . فأضاء بطاريته وأدارها ، فوجد بعض الركائب الفارغة . فاضطجع عليها بعد أن تدثّر بواحدة منها .

أما «روميل» فقد رقد داخل مقطف كبير فارغ . . فى انتظار الصباح !

• • •

كان المغامرون نياماً ، فلم يشعر أحد منهم بغياب «سمارة» أو «روميل» . كما كانت «أم شلبى» تجهل ما يجرى حولها ، بالرغم من قربها للمطبخ ، فنومها ثقيل !

وعندما استيقظت فى الفجر ، خرجت إلى الردهة لتجهز مائدة الإفطار للمغامرين ، ولكنها فوجئت باختفاء جلد النمر !

أصابتها الدهشة ، وبدا عليها الخوف . أين اختفى؟ ومن الذى أخذه ؟

إن أحداثاً غريبة تجرى حولها منذ وصول هؤلاء الأولاد المغامرين !

وفى الطابق العلوى ، بدأ «عارف» [illegible] لاستيقاظ . ولكنه لم يجد «سمارة» فى سريره المجاور! فاعتقد أنه ذهب إلى غرفة «عامر» لإيقاظه ، أو نزل إلى الردهة ، أو أخذ «روميل» فى نزهته الصباحية !

هبط «عارف» السلالم ، فوجد «أم شلبى» تقف وسط الردهة وهى تجول بنظرها هنا وهناك . ولكنه فوجئ مثلها باختفاء جلد النمر !

عارف : أين جلد النمر يا «أم شلبى» ؟ كان هنا حتى مساء الأمس !

أم شلبى : لا أعلم ! ألم يحمله أحدكم إلى غرف النوم ؟

عارف : ولماذا ؟ إن مكانه هنا ! ولا حاجة لنا به فى غرف النوم !

أم شلبى : ربما سحبه الكلب إلى الحديقة ! فالكلب شقىّ كما تعلم !

عارف : وكيف خرج به والباب مغلق ! والنافذة كذلك . . .

أم شلبى : آه . . صحيح . . إذن من تظنّه أخذه ؟

نظر إليها «عارف» ، ثم ضحك وقال لها :

عارف : يجوز «خيال المآتة» ! !

أم شلبى : هذا ليس بمستبعد ! فكل شىء أصبح جائزاً فى هذا المنزل !

ولما نزل «عامر» و«عالية» ، خرج الجميع إلى الحديقة ، حيث عثروا على الجلد ملقى بالقرب من نافذة المطبخ .

أخذتهم الدهشة من ذلك ! فلا أحد منهم اقترب من جلد النمر !

عامر : ولكن أين «سمارة» و«روميل» ؟ إنهما مختفيان !

عالية : هذه إحدى ألاعيب «سمارة» ! إنه يحبّ أن يداعبنا !

ولكنها لعبة مكشوفة !

وما كادت «عالية» تتم جملتها ، حتى وصلتهم عبر نافذة المطبخ صيحات عالية ، ودقّات عنيفة ، ونباح «روميل» . .

كان الصوت صوت «سمارة» وهو يصرخ بأعلى صوته :

- الحقونى ! أسرعوا فى إخراجنا من الكرار ! . نحن مسجونون هنا ! ! . النجدة !

عالية : هذا صوت «سمارة» يخرج من الكرار ! ! ولكن من أدخله الكرار ؛ هذا ملعوب ثان من «سمارة» !

أم شلبى : بسم الله الرحمن الرحيم ! . . هذا مستحيل ! . . فالكرار مقفل ومفتاحه مفقود ! فكيف دخل ؟ إنى سأجن ! . .

أسرع الجميع إلى الداخل ، ووقفوا أمام باب الكرار ، وكان «سمارة» مازال يصيح ويدق عليه بعنف ! و«روميل» ينبح بجواره !

عامر : أين المفتاح يا «سمارة» ؟ أنا لا أرى مفتاحاً هنا ! كيف دخلت ؟ أومن أدخلك ؟

سمارة : مع هؤلاء الوحوش ! أخذوه معهم ! ! اكسر الباب بسرعة كدنا نختنق !

صمت الجميع وهم حيارى ! كيف دخل «سمارة» ؟ ومن هم هؤلاء الوحوش الذين أخذوا معهم المفتاح ؟ هذا المفتاح الذى

لا وجود له ! ! . . إن الامور تزداد تعقيداً !

عارف : ما العمل الآن والمفتاح مع والدتنا ! . . هل سننتظر وصولها حتى يختنق « سمارة » ؟ ! . .

عامر : ليس أمامنا إلاّ تحطيم الباب . . يجب إنقاذه فوراً ! . .

عالية : لا داعي لكسر الباب ! . . لنجرّب مفاتيح المنزل . . قد يفتح أحدها !

نجحت فكرة « عالية » أخيراً . . وتمكنوا من إنقاذ « سمارة » ! . .

وماكاد « سمارة » يرى ضوء النهار ، حتى اندفع خارجاً كالصاروخ وهو يلهث ، يتبعه « روميل » مطأطئ الرأس !

يالها من ليلة عصيبة قضاها فى هذا الكرار الضيق المظلم ! . . إن ذكراها لن تفارقه مدى الحياة !

لغز طارق الليل ! !

عالية

وقف « سمارة » أمام المغامرين وهو مطرق الرأس ، وأخذ « عامر » فى استجوابه . فقال له :

عامر : ما الذى جاء بك هنا يا « سمارة » ؟ كيف دخلت الكرار؟

سمارة : لقد عانيت كثيراً من البرد فى الداخل ! ولكنى استعنت بروميل . . . كنت أحتضنه كالقربة الساخنة !

عارف : أسألك ماذا كنت تفعل داخل الكرار؟ ومن حبسك ؟ أجب ! . .

سمارة : يالها من مغامرة رهيبة اجتزتها ليلة أمس ! بدأت بأن سمعت صوتاً بعد منتصف الليل . . فنزلت لأعرف مصدره . . وكنت أظنه طارق الليل ! ! . . ولم أشأ إزعاج أحد منكم !

عالية : يالك من جرىء يا « سمارة » ! ! . .

بدأ «سمارة» فى رواية ما مرّ به من أحداث الأمس وقصّ عليهم تجربته المثيرة مع جلد النمر ونقل لهم ما رآه . .

دهش الجميع عند سماعهم قصة الصناديق ، وقالت «**أم شلبى**» : كيف ذلك ؟ أنا قفلت باب الكرار بنفسى بالمفتاح قبل انصرافى للنوم . . وحسب علمى لا توجد صناديق داخل الكرار ! ! . .

سمارة : ولكنه كان مفتوحاً ! أما الآن فهو مغلق بالمفتاح . . وبالمزلاج من الداخل كما ترين ! ورأيت الصناديق بعينى رأسى !

عالية : آه . . الشبّاك ! . لقد دخلوا وخرجوا عن طريقه ! إن أكرته مكسورة !

أم شلبى : لقد وعدنى «أبو شلبى» أن يرسل أحداً لإصلاحه اليوم !

عامر : وما الفائدة ! بعد أن وقع المحظور . . وسبقنا هؤلاء اللصوص ! ولكن كل ذلك لا يهمّ . . المهم فى الصناديق ! . . ما هى حكاية الصناديق هذه ؟ ! ! . .

• • •

كانت الأحداث التى مرّت بهم فى المنزل الصغير المنعزل عجيبة ! ولكن كان أعجبها بلا شك وأخطرها ، هو حادث الصناديق الثقيلة الصغيرة المخبأة فى الكرار ، والاستيلاء عليها خلسة بعد منتصف

الليل ، ثم حملها إلى حيث لا أحد يعلم !

وكان «عامر» يتحدث إليهم وهم يلتفّون حول المائدة فى الردهة ، فقال : لقد بدأت الآن الحوادث التى مرّت بنا تتجمّع وترتبط وتنجلى قليلاً ! . . وفى إمكاننا أن نخرج منها بنتيجة !

عارف : كيف ؟ فما صلة طارق الليل الغامض مثلاً . . بالرجل الذى كان يتلصّص علينا من الحديقة ؟ أو القفاز الغليظ ؟ أو الضيف المجهول الذى احتلّ الدوّار ! !

سمارة : وما الصلة بين هذا كله ، وبين «خيال المآتة» الذى أطلّ على «أم شلبى» من النافذة ، وكاد يصيبها بالجنون ! ! . .

عامر : أنت أخطأت يا «سمارة» عندما انفردت وحدك باكتشاف مصدر الصوت ! كان الواجب أن نتكاتف معاً ! ربما كنّا أقدر عندئذ على القبض على هؤلاء الأشرار . وسجنهم فى الكرار . . بدلاً من أن يسجنوك أنت و«روميل» ، لقد أتحت لهم بعملك هذا فرصة الفرار !

عالية : أنت تقول يا «عامر» إن الأمور ابتدأت تتكشّف لك ! وأن فى إمكاننا أن نخرج منها بنتيجة . . كيف ؟

أخذ «عامر» يفكر طويلاً . . والجميع ينتظرون حوله وقد نفد صبرهم لكى يفصح لهم عمّا يدور فى ذهنه . وأخيراً قال :

عامر : اسمعوا ! . . لم يكن مجيئنا إلى هذا المنزل فى الحسبان . . أليس كذلك ؟ . بل وصلنا هنا فجأة بمناسبة إجازة نصف السنة ! وكان ذلك على أثر فكرة عارضة طرأت لبابا . ! وكان المفروض أن يظلّ المنزل مغلقاً حتى الصيف . . حيث كنا سنقضى فيه إجازتنا الصيفية الطويلة !

عارف : هذا صحيح . . والبلدة كلها على علم بذلك . . ولم يكن أحد ينتظر وصولنا ! !

عامر : أليست هذه فرصة ذهبية يمكن أن ينتهزها بعض الأشرار لاستغلال هذا المأوى الفريد ؟ !

عالية : كأن يخبّئوا فيه مثلاً بعض البضائع المسروقة . . أو المهرّبات . .

عارف : هذا جائز جداً ، فالمنزل بعيد عن الأنظار . . وأصحابه فوق كلّ شبهة ! لن يشك أحد فى والدنا . . أو فينا !

عامر : فاقتحموا المنزل عنوة . . أو دخلوه من نافذة المطبخ . . وصنعوا مفاتيح لجميع الأبواب ، وهذا سهل ! وجاءوا ببضاعتهم أو مهرّباتهم وأخفوها فى الكرار . . وأخذوا مفتاحه معهم !

عالية : إلى أن يحين الوقت المناسب لإخراجها ! كما حدث !

سمارة : ولكنى كشفت سرّهم . . وأفسدت عليهم خطّتهم !

وكدت أقبض عليهم ! ! . .

عامر : مضبوط ! وقَلَب وصولنا المفاجئ إلى المنزل خططهم ظهراً على عقب ! وكان لابدّ لهم من إبعادنا عن المنزل !

عالية : ولذلك كان واحدٌ منهم يتجسّس علينا من الحديقة . . وأسقط قفازه فى الخصّ الصغير !

عارف : هذا مفهوم ! . . ولكنى لا أفهم أن يطرق أحدهم الباب ليلاً . . ثم يختفى بطريقة غامضة ! هذا عمل صبيانىّ ! . .

سمارة : ولا كيف ولماذا يطلّ « خيال المآتة » على « أم شلبى » . . وأنا أعتقد الآن أن « أم شلبى » لم تكن واهمة حينما كانت ترى خيال المآتة وهو يطل عليها .

عامر : نعم . . هى صادقة فى قولها . . والتفسير الوحيد لكل ما حدث هو محاولة إرهابنا بمثل هذه الألاعيب الصبيانية المكشوفة لكى نرحل عن المنزل . . ونتركه لهم يعيثون فيه فساداً !

عارف : أو على الأقل حتى ينقلوا بضائعهم إلى الخارج !

سمارة : نظريّتك صحيحة يا « عامر » . . والآن أنا متأكد أن الطارق الليلى هو « عويضة » بعينه ! لا أحد غيره يمكنه أن يطرق الباب بهذه القوة . . إن يده ثقيلة غليظة . . لقد ذقت طعمها بنفسى ! ! . . .

عامر : ولما فشلت خطتهم فى إرهابنا وإبعادنا . . لم يجدوا بدًّا من إخراج الصناديق من الكرار . . ونقلها إلى مكان أكثر أمناً . . ولكن «سمارة» أفسد عليهم غرضهم ! وكشف سرّهم !

عالية : ولكنهم مع ذلك تمكنوا من نقلها بعيداً . . وهى الآن فى حوزتهم !

عامر : مهمتنا الآن أن نعرف ما بداخل الصناديق . . وأين أخفوها ! قد يكون الأمر بالغ الخطورة ! . . وإننا نسعى وراء عصابة رهيبة !

عارف : وماذا علينا الآن أن نفعله ؟ . .

عامر : أن نقتفى أثرهم ! إذ لابد أنهم تركوا وراءهم آثاراً واضحة ، وهم يفرّون بحملهم الثقيل ! .

عالية : الآن وقد وضح أمامنا كل شىء . . فقط لدىّ سؤال أرجو أن يجيبنى أحدكم عنه ! . .

عامر : وما هو يا «عالية» . . أظن أنه لم يعد أمامنا شىء غامض !

عالية : تذكرون أن الطارق الليلى ترك بصمات قدميه وهو يسير فى اتجاه واحد . . أى فى أثناء وصوله حتى الباب . . ولكنه لم يترك أثراً لعودته ! . . فأين ذهب ؟ هل تبخّر فى الهواء ؟ . . أو انشقّت عنه

الأرض ؟

لم يجبها أحد عن سؤالها . . بل كانوا ينظرون إلى بعضهم بعضا وهم فى حيرة شديدة . . إذ لم يكن من السهل حلّ هذا الغموض !

خرجوا إلى الحديقة ليروا ماذا يمكنهم التوصّل إليه . فى حين تخلّفت «عالية» لتساعد «أم شلبى» فى قضاء بعض الشئون المنزلية . وكانت «عالية» تروى لها ما توصّل إليه «عامر» بذكائه واستنتاجه .

أم شلبى : كل ما أعرفه أنى لا أستريح لما يجرى حولى . . كان الحال هادئاً قبل مجيئكم ! . .

عالية : لم يعد هناك ما يخيفك . . ولا داعى بعد الآن لحمل يد «الهاون» ! ! أو غلْى الماء ! . . لقد رحلوا إلى غير عودة !

وبينما هما فى حديثهما ، و«عالية» تحاول عبثاً تهدئتها وإبعاد الخوف والشك عنها ، إذ دخل عليهما «عامر» وهو مهلّل الوجه ، منفرج الأسارير ، وقال :

عامر : أبشرى يا «عالية» لقد توصّلت إلى حلّ لغز الطارق الليلى !

أم شلبى : إذن فهو لم يتبخّر فى الهواء . . أو تنشق عنه الأرض ؟ !

عامر : بالعكس . . فالمسألة بسيطة جداً . . ولكن ككل شىء

بسيط فهو بعيد عن الإدراك بسهولة«لقد سار «عويضة» القهقرى بظهره أثناء عودته بعد طَرْق الباب . . وكان يضع قدميه فى نفس البصمات التى خلّفها أثناء ذهابه إلى المنزل ! ! ! . .

عالية : يالك من ذكى يا «عامر» . . لم يخطر هذا على بالى أبداً . . هكذا تمكن هذا الشقىّ من خداعنا بكلّ بساطة ! . .

عامر : والآن هيا بنا فى أثر الأشقياء إلى حيث أخفوا الصناديق . . وسيرشدنا «روميل» إلى مخبئهم !

ذهب المغامرون ليستقلّوا دراجاتهم . ولكنهم عندما وصلوا إلى حيث تركوها بجوار جدار المنزل ، فوجئوا باختفائها ! ! . .

أين ذهبت الدراجات ؟ فالدراجة لا تسير وحدها ! . .

أصيب المغامرون بالدهشة وخيبة الأمل . وأخذوا يفتشون عنها فى أرجاء الحديقة دون جدوى ! . .

عارف : من يكون أخذها ياترى ؟ . . إنه أكثر من رجل ! فرجل واحد لا يمكنه أن يقود ثلاث دراجات !

عامر : «عويضة» و«أبوسريع» ومعهما شخص ثالث وأظن أنى أعرف السبب ! !

عالية : كلّنا يعرف السبب ! . . لينقلوا عليها الصناديق الثقيلة ! وإلاّ كيف كانوا سينقلونها ؟ ! . .

كانت «عالية» مصيبة فى ظنّها . إذ أنهم سرعان ما اكتشفوا آثار العجلات الغائرة بحملها الثقيل ، تبدو واضحة فى الأرض الطينية الليّنة !

عامر : انظروا ! هذا هو أثر إحدى الدرّاجات . . وهذا هو الثانى . . وهناك الثالث . . . والآن . . إلى المخبأ السرّى ! هيّا فى المقدمة يا «روميل» ! ! . . سنرى أين تقودنا هذه العلامات ! . .

نعير الساقية !

سار المغامرون وهم يتتبّعون آثار العجلات الغائرة . وكان «روميل» فى المقدمة ، وأنفه الحساسة تلاصق الأرض .

عامر : والآن سنرى إلى أين ستؤدى بنا هذه الآثار .

عارف : أرجو ألاّ ينتهى بنا المطاف إلى المزارع . . حيث تندثر معالمها !

عالية : أو إلى طريق مسدود أو مرصوف . . فلا يظهر لها أثر !

سمارة : أو إلى الترعة . . فالماء بارد يصعب الغوص فيه غير ما به من مصادر الأمراض الخطيرة ! ! . .

خرجوا من البوابة إلى الطريق الضيّق المحاذى للترعة ، وكانوا يسرعون الخطى للّحاق «بروميل» . لقد كفاهم مؤونة التطلّع إلى الطريق تحت أقدامهم للبحث عن الآثار . كان «روميل» يقوم عنهم بهذه المهمة خير قيام !

ولكنهم ما كادوا يبتعدون عن المنزل قرابة المائة متر ، حتى شاهدوا «روميل» يتوقّف فجأة !

عامر : إنه توقّف بجوار الساقية ! لماذا ؟ . . فليس فيها ما يلفت النظر !

سمارة : ربما تمهّل لكى نلحق به ! . .

عالية : أو ربما اكتشف شيئاً غريباً !

وعندما لحق به المغامرون وجدوه يربض بجوار الساقية ، وهو ينبح نباحاً عالياً متواصلاً !

عامر : غريب أمر «روميل» ! ماذا لفت نظره فى هذه الساقية الخربة المهجورة ؟ ! . .

تجمّع المغامرون حول الساقية وهم يبحثون حولها تارة ، ويطلّون فى خزّانها العميق الجاف المهمل !

ولكنهم لم يجدوا شيئاً يلفت النظر ! إن الحشائش تنمو فى قاع البئر . ولو كان هناك صندوق واحد ملقى فى قاعه لظهر وبان ! . .

هذا فضلاً عن أن قواديس الساقية المعدنية قد علاها الصدأ . إنها فارغة فلم تستعمل والأرض حولها جافة منذ سنوات طويلة مضت !

أما الحظيرة المجاورة للساقية فكانت كما هى . . حوائطها متآكلة . .

وجدرانها متهدّمة ! . . إنها لا تصلح الآن لإيواء أعجل صغير ! أيكون « روميل » قد أخطأ ! لا ! إن شيئاً ما قد شدّ انتباهه إلى هذا المكان !

وفجأة تركهم « روميل » وعدا نحو الحظيرة ودخلها . ثم أخذ ينبح عليهم . وكأنه يدعوهم إليه !

هرع إليه « سمارة » وما كاد يدخل الحظيرة وراءه حتى سمعوا صوته وهو ينادى عليهم قائلاً :

سمارة : تعالوا بسرعة ! . . انظروا ماذا كشف عنه « روميل » ! إنها مفاجأة العمر ! . .

شاهد المغامرون كوماً كبيراً من القشّ . كان « روميل » يعمل فى إزالته بهمّة ونشاط .

وهنا ظهرت تحته الدرّاجات الثلاث ملقاة على الأرض ! ! يا للفرحة التى غمرتهم فجأة ! ها هى ذى دراجاتهم عادت إليهم !

عارف : الحمد لله . . لقد عثرنا على دراجاتنا . .

عامر : سنتركها هنا كما هى . . وإلا انكشفنا ! . . ووجود الدراجات فى هذه البقعة مؤشر طيّب ! إننا سوف نعثر على بُغيتنا قريباً !

عمل روميل على إزالة كومة القش . . فظهرت تحته الدراجات الثلاث .

عالية : لابد أن تكون الصناديق قريبة من هذا المكان . . ماداموا نقلوها على الدراجات ! .

سمارة : ولكن أين ! ! فالمزارع مترامية الأطراف ! أو ربما ألقوا بها فى الترعة ! ! . .

نعم ! هذا هو السؤال ! أين هى الصناديق ؟ ؟ . . أتكون فى قاع الترعة ؟ أو وسط المزروعات ؟ أو مدفونة تحت الأرض ؟ أو ملقاة فى الساقية المهجورة ؟ أوليست فى أحد هذه الأماكن على الإطلاق ؟ كل هذا محتمل !

عارف : من المحتمل أن يكونوا قد وصلوا بالصناديق إلى هذا المكان ثم نقلوها بعيداً فى سيارة !

عامر : افتراض محتمل ! المهم أن نجدّ فى البحث عنها بأية وسيلة !

عالية : أعتقد أنها ليست بعيدة عن هذه البقعة . فلا طريق هنا يصلح لسير السيارات ! ! . . لابد أن يتركوها هنا . .

جلس المغامرون على عجلة الساقية الخشبية يتشاورون فى أمرهم . وأخيراً استقر رأيهم على أن يأخذ كل منهم طريقاً وسط الزرع . لعلّهم يعثرون على ضالتهم .

ولكن «روميل» رفض أن يتزحزح عن مكانه بجوار

الساقية ! ! . . ياله من كلب عنيد !

حاول «سمارة» إثناءه عن عزمه وعناده . . ولكنه أخفق ! وكان كلما قاده بعيداً ، هرب منه ليعود ويجلس بجوار الساقية !

عامر : الصناديق هنا ! ! . . أغلب الظن فى هذه الساقية ! ! . .

عارف : هذا مستحيل ! فكما ترى لا شىء فى الساقية ! ولا أثر لحفر ، فالحشائش القديمة تنمو فى قاع البئر !

عامر : لاشىء مستحيل ؟ المستحيل هو أن تخطئ غريزة الكلب ؟ ؟

سمارة : أوافقك يا «عامر» . . «روميل» لا يخطئ أبداً ! !

ساد الصمت بينهم لفترة طويلة ، وكلّ منهم يفتّق ذهنه عن أيسر السبل للتوصل إلى مكان الصناديق ! إلى أن نطق «سمارة» وقال :

سمارة : أنا متطوّع للنزول فى بئر الساقية ! ! . .

عالية : لا يا «سمارة» ! فى هذا العمل خطورة كبيرة عليك . . قد تكون هذه البئر جباً للثعابين ! ! . .

سمارة : يمكننى أن أتدلى بحبل حتى لا ألمس القاع ! ومع ذلك فأنا لا أخاف الثعابين . . فكثيراً ما قتلتها فى صحراء مرسى مطروح ! . .

عالية : ولا هذا . . قد ينقطع بك الحبل ! فتسقط فى البئر ويدقّ عنقك !

لم يجد المغامرون بعد ذلك ما يمكنهم أن يفعلوه . بعد أن أزف موعد الغداء . فانصرفوا إلى المنزل . على أن يعاودوا التفكير والبحث والتنقيب فى وقت آخر . .

° ° °

عاود المغامرون البحث فى كل مكان طوال اليوم ، حتى هجم عليهم الظلام . ولكنهم باءوا بالفشل . ومع ذلك لم يساورهم اليأس ، بل ازدادوا تصميماً فوق تصميم ! فأرجئوا البحث إلى اليوم التالى .

وفى الصباح الباكر ، كان «عامر» و«عالية» يرتديان ملابسهما ، عندما استأذنت «أم شلبى» فى الدخول إلى غرفتهما . .

نظر إليها «عامر» فلاحظ الاضطراب الشديد على وجهها ، فسألها :

عامر : ماذا بك يا «أم شلبى» ؟ هل زارك «خيال المآتة» ثانية ؟ ! . .

أم شلبى : بل حدث شىء أغرب بالأمس ! أغرب من ظهور خيال المآتة . . !

عامر : ليس هذا بجديد علينا . . خيراً يا «أم شلبى» ! تكلّمى ! . .

أم شلبى : استيقظت بالأمس بعد منتصف الليل على صوت غريب !

عامر : تعنين أن الطارق الليلى عاود لعبته معنا !

أم شلبى : كلاّ . . بل سمعت صوتاً لم يسمعه أحد فى هذه الناحية منذ سنين طويلة ! كان قد اختفى . . ولكنه ظهر من جديد !

عالية : وما هو؟

أم شلبى : صوت نعير الساقية ! ! . .

عامر : وما الغرابة فى ذلك : فالسواقى منتشرة فى الأرياف ! ربما كان أحد الفلاحين يسقى زراعته ليلاً ! . .

أم شلبى : ولكن لا توجد فى زمام «سنديون» كلها غير ساقيتكم المهجورة ! كان الصوت صوتها ! فأنا أميزه عن باقى السواقى ! . .

عامر : ربما كنت تحلمين ! ! . . وهل استمر نعيرها طويلاً ؟ ! . .

أم شلبى : لا . . لدقائق معدودات . . ولكنه وصل أذنى واضحاً عالياً فى سكون الليل ! . لقد أيقظنى من نومى مع أن نومى ثقيل !

نظر «عامر» إلى «عالية» نظرة ذات معنى ، ثم قال :

عامر : ربما كنت تحلمين يا «أم شلبى» . . وعلى العموم لا أهمية لذلك . . دارت الساقية أو توقفت !

أم شلبى : أنا خائفة !

عالية : وماذا يخيفك من دوران الساقية ؟

أم شلبى : من الذى يدير ساقية مهجورة وجافة ؟ وبعد منتصف الليل ! ! . .

وبعد أن هدّأت «عالية» من روع «أم شلبى». انصرف المغامرون إلى الحديقة ، حيث عقدوا اجتماعاً عاجلاً فيما بينهم لدراسة هذا التطوّر الأخير أو العمل فى ضوء ما قد يستخرجونه من نتائج ! . .

عامر : تقول «أم شلبى» إنها سمعت صوت الساقية بعد منتصف الليل . وهذا يعنى أن الساقية دارت بالفعل ! فأذن الفلاحة لا تخطئ صوت نعيرها . . فهو كصوت الموسيقى فى أذنها !

عارف : هذه واقعة هامة . . بل نقطة التحوّل فى بحثنا عن الصناديق !

عامر : تماماً ! من الآن . . سوف نركز بحثنا فى الساقية.

عالية : طرأت على بالى فكرة ! ! . .

عارف : هات ما عندك يا «عالية» من أفكار نيِّرة !

عالية : سندير الساقية بأنفسنا . . ونرى ماذا سيحدث ! !

سمارة : كيف ؟ لقد حاولنا مرّة فاستعصت علينا !

عالية : لم أقصد أن نديرها بأيدينا !

سمارة : إذن كيف سنديرها ؟

عالية : سنستعير جاموسة «أبو شلبى» . . وهو لن يبخل بها علينا ! . .

هذه فكرة صائبة لا بأس من تجربتها ! لماذا لا يستعيرون الجاموسة ويربطونها فى الساقية ويديرونها ؟ ! . . كيف لم تخطر على بالهم هذه الفكرة من قبل ! إنهم لن يخسروا شيئاً ! . .

وحتى إذا لم يتوصّلوا إلى الكشف عن الصناديق ، فإنهم سيقضون على الأقل وقتاً طيباً فى الاستمتاع بصوتها الموسيقى ! . .

أما إذا أسعفهم الحظّ وكشفت لهم الساقية عن سرّ لغز الصناديق الخشبية الثقيلة ! ! فهذا موضوع آخر ! !

قوالب الطوب ! !

عارف

رأى «عامر» ضرورة معاينة الساقية مرة أخرى قبل أن يديروها . إذ لو صحّت رواية «أم شلبى» ، لكان لابد من أن يترك الأشقياء آثارهم ، فضلاً عن آثار حوافر الجاموسة التى أدارت الساقية ! ! ..

ولما ذهبوا إلى الموقع ، شاهدوا الآثار بادية للعيان .

وكانت أظهرها حوافر الجاموسة وهى تحيط بالساقية . كما أن مخلّفاتها كانت تتناثر هنا وهناك ..

إذن لم تكن «أم شلبى» تحلم بنعير الساقية ! !

هلّل المغامرون لهذا الكشف المثير . إنهم أصبحوا الآن على قاب قوسين أو أدنى من العثور على الصناديق ، وإماطة اللثام عمّا يدور حولهم من أحداث !

عامر : لم يبق أمامنا الآن إلا مشكلة واحدة .. ولكنها مشكلة

شائكة !

عارف : أية مشكلة ! إن المسألة واضحة ! وأصبحت مغامرتنا على وشك الانتهاء !

عامر : بالعكس .. إنها لم تبدأ بعد ! ! .. أما المشكلة فهى كيف سنبرّر «لأم شلبى» حاجتنا إلى جاموستها ؟ فنحن نريد أن يبقى الأمر سرًّا فيما بيننا !

سمارة : صحيح هذه مشكلة ! لو طلبنا منها حماراً لهان الأمر ! أما الجاموسة فلا ... فليس من السهل على الفلاّح أن يفرّط فى جاموسته !

عالية : وحتى إذا حصلنا على الجاموسة ، فليست لدينا الخبرة لإدارة الساقية ! .. هذه مسألة فنية !

سمارة : أنا أعرف كيف ! لا تحملوا همّاً ! ..

عامر : إذن سنترك لك يا «عالية» مهمة مفاوضة «أم شلبى» فى طلب الجاموسة ! ما رأيك ؟

عالية : وهو كذلك ..

° ° °

تولّت «عالية» مكاشفة «أم شلبى» بلباقتها وكياستها . وأخيراً نجحت فى إقناعها بالتوجه فوراً إلى زوجها حيث يعمل فى الغيط ،

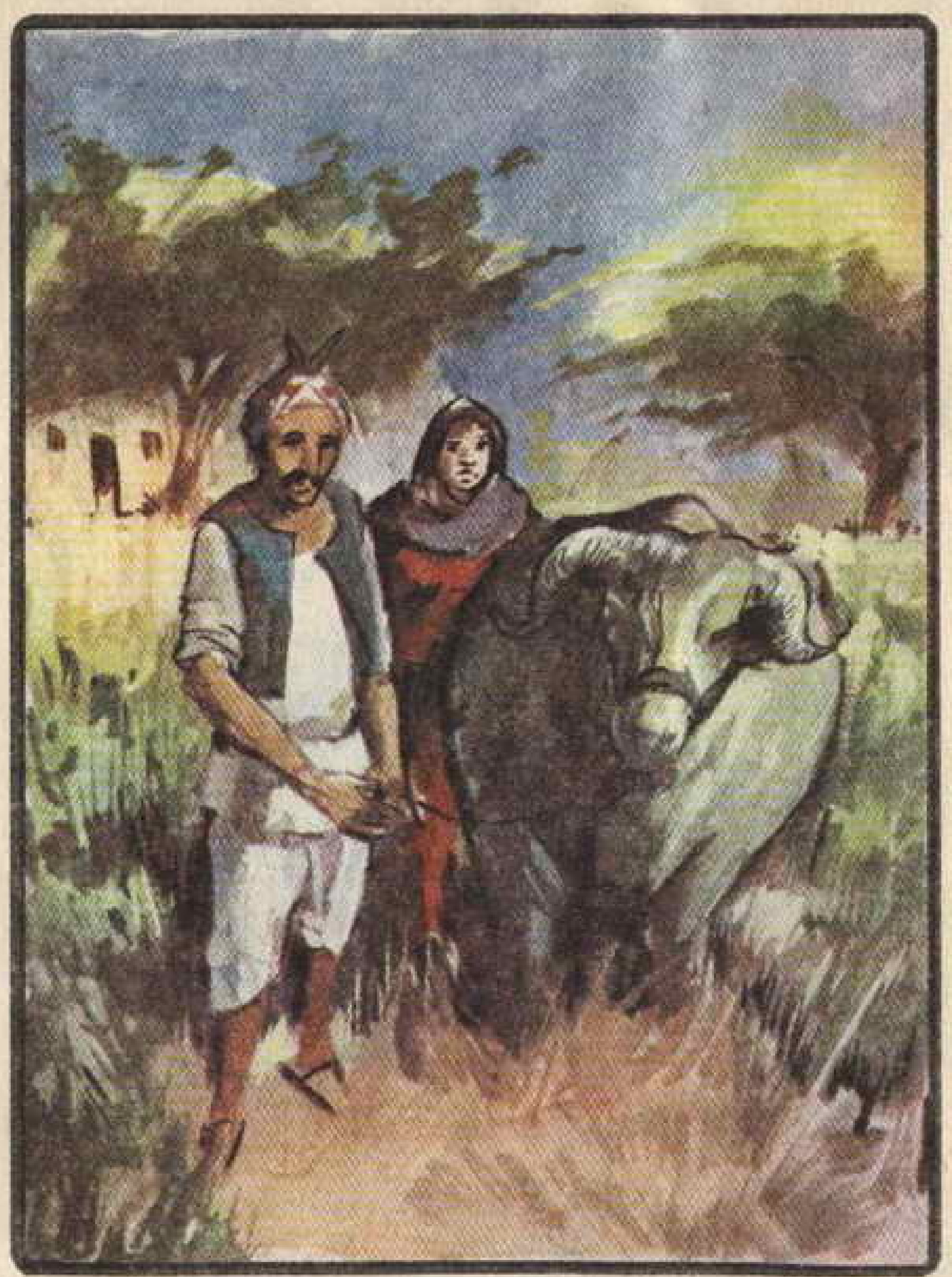

بعد ساعة وصلت «أم شلبى» بصحبة زوجها وهو يقود الجاموسة

وإحضاره مع الجاموسة !

وبعد ساعة وصلت «أم شلبى» بصحبة زوجها وهو يقود الجاموسة وهى تتهادى وراءه !

كان «صميدة» ، أوكما ينادونه فى الناحية باسم «أبو شلبى» ، عنواناً على الفلاّح المصرى الطيب . ولم يكن يدرى بما يدور فى المنزل من حوادث عجيبة . فلا وقت عنده لتصديق مثل هذه الترّهات التى ترويها له زوجته من آن لآخر . ! إنه يفلح غيطه من شروق الشمس حتى غروبها .

صميدة : صباح الخير . . ! سمعت من «أم شلبى» أشياء غير معقولة ! هى دائماً كلامها كثير .

عامر : وما رأيك أنت فى ذلك ؟

صميدة : «أم شلبى» تقول إن «خيال المآتة» طلّ عليها من الشباك ! ! ! الظاهر أنها تهلْوس ! ! . .

عامر : «خيال المآتة» اختفى من مكانه ! هذه واقعة تأكّدنا منها بأنفسنا !

صميدة : أنا الذى ثبتّه بيدى فى الأرض ! كيف يختفى ؟ وأين ذهب ؟

عامر : المهم الآن أننا فى حاجة إلى مساعدتك فى إدارة

الساقية . .

صميدة : تقول «أم شلبى» إن هناك صناديق فى البئر ! ! . . فقلت لها . . ليس فى البئر غير الحشائش والثعابين ! . .

عامر : على كل حال فلنجرّب ! والمثل يقول : «الميّة تكدّب الغطّاس» ! !

* * *

كان المغامرون يقفون حول الساقية وهم فى أشد حالات القلق . فما هى إلاّ دقائق معدودات يتحقق بعدها إما فشلهم أو نجاحهم ! قد ينجلى بعدها سرّ اللغز الغامض . . أوقد يزيد تعقيداً !

وكان «صميدة» ينهمك فى ربط الجاموسة فى عجلة الساقية عندما أطلّ برأسه فى قاع البئر وقال :

صميدة : لا تضيّعوا وقتكم ! فقاع البئر فارغ ! إلا من الحشائش والثعابين !

عامر : قاع البئر ! ! نحن لا نبحث فى قاع البئر ! ! . .

صميدة : «أم شلبى» تقول إنكم تبحثون هنا عن صناديق ! ولهذا السبب تركت عملى فى الغيط !

عامر : إننا فى الحقيقة لا نبحث عن الصناديق ! ! فالصناديق لا تهمّنا !

صميدة : إذن أنتم تضيّعون وقتى ! سأرجع إلى الغيط بجاموستى ! . .

عالية : إننا لا نبحث عن الصناديق ذاتها ، بل على محتوياتها ! ! ! . .

صميدة : سيّان ! فالخزّان فارغ . .

عامر : الخزّان لا يهمنا فى شىء ! . . إنما تهمّنا القواديس ! ! !

انفرجت أسارير «صميدة» بعد أن كان متجهماً ، وقال :

صميدة : آه . . الآن فقط فهمت ! . .

عامر : أخيراً ! الحمد لله . . نحن نعتقد أن الأشقياء أفرغوا المحتويات من الصناديق ، وأخفوها داخل عدد من القواديس . .

عارف : ثم أداروا الساقية حتى تستقر هذه القواديس أسفل العجلة فى قاع البئر ليحجبوها عن الرؤية ! .

عالية : ولما كانت الصناديق صغيرة الحجم ، ثقيلة الوزن ، فنحن على يقين من أن محتوياتها لا بد أن تكون ثمينة جدًّا ! . .

عامر : والآن أدر لنا الساقية حتى تظهر لنا القواديس السفلية . . مقدار نصف دورة فقط !

ساد الصمت ولم يعد يُسمع غير نعير الساقية . فى حين كانت أنظار المغامرين معلّقة على القواديس المعدنية الصدئة !

وما كادت القواديس تصل إلى متناول يد «عامر» حتى أمر بإيقاف الساقية . وتقدم ببطء وألقى نظرة داخل أول قادوس فى مستوى نظره .

فغر «عامر» فاه من الدهشة ، وانعقد لسانه عن الكلام ! ثم مدّ يده فى بطء داخل القادوس وأخرج شيئاً !

كان ما أخرجه أشبه بقالب الطوب ، محفور عليه بعض الأرقام . وكان القالب ثقيل الوزن ، حتى كاد يسقط من يده فى قاع الساقية ! ما هذا الذى يراه ؟ أهى قوالب من رصاص !

وعندما رأى «صميدة» ما فى يده ، ظهرت على محيّاه إمارات الخيبة وقال :

صميدة : أكلّ هذا التعب من أجل حفنة من قوالب الطوب ! ! . .

وبعد أن ذهبت الدهشة والمفاجأة ن «عامر» صاح قائلاً : سبائك ذهبيّة ! ! ! سبائك ذهبية ! !

كانت السبائك الذهبية تملأ أربعة قواديس . وكل قادوس منها يحتوى على عشر سبائك ! أربعون سبيكة بالتمام والكمال !

أذهلت المفاجأة الجميع ، فجلسوا على الأرض لبعض الوقت وكأنّ على رءوسهم الطير . ثم أخذوا يتباحثون فيما يجب عمله . بهذه

السبائك الذهبية . فالمسألة لم تعد تقتصر الآن على البحث عن بعض الصناديق الخشبية ! بل هى أخطر من ذلك وأدهى ! . .

شدّد «عامر» على «صميدة» و«أم شلبى» أن يتكتما الخبر ، إذ لو وصل سرّ هذا الاكتشاف إلى العصابة ، لكان لها معهم شأن آخر ! أو على الأقل لاذت بالفرار ، وهو ما يعمل المغامرون على تفاديه بأى ثمن .

إن هدفهم هو تسليم المجرمين إلى يد العدالة ، لينالوا قصاصهم العادل .

وبعد أخذ وردّ ، استقر الرأى على ترك السبائك الذهبية مؤقتاً فى مكانها داخل القواديس . وذلك حتى تطمئن العصابة إلى عدم تسرّب سرّها !

إن المسألة الآن لا تقتصر على اتّجار عصابة فى بعض سلع أو مهرّبات . بل هى أخطر ممّا كانوا يتوقّعون ! إن المسألة تمس أمن الدولة ، فتهريب الذهب يضرّ باقتصادها ضرراً بليغاً !

وليس الهدف الآن من عملهم هو العثور على الذهب وتسليمه فقط ، بل القبض على هؤلاء المجرمين لإيقاف نشاطهم ، وعدم تكراره مستقبلاً !

عامر : هيّا بنا الآن إلى المنزل . . لا خوف على السبائك هنا . .

لا أعتقد أن العصابة ستظهر فى وضح النهار لنقلها .

عارف : يجب الاتصال أولاً بوالدنا بأية وسيلة . . لابد من حضوره فوراً !

عالية : لنحاول مرة أخرى من تليفون العمدة . . لعلهم أصلحوا الخطّ .

• • •

وعندما وصل المغامرون إلى المنزل ، وجدوا فى انتظارهم إشارة عاجلة من العمدة . قالت الإشارة إن الخطّ أصلح ، وأن والدهم يطلب منهم ضرورة الاتصال به فوراً ليطمئن على حالهم .

عامر : سأذهب حالاً إلى دار العمدة لأخبر والدنا بما حدث ، وأسأله المشورة ! والحضور فى الحال . .

عارف : ونحن . . ماذا نصنع ؟

عامر : عليك أنت بملازمة «عالية» و«أم شلبى» بالمنزل ، وإياك أن تفارقها لحظة واحدة حتى أرجع . .

سمارة : وأنا . . .

عامر : أنت ستحرس الكنز ! ستصيد السمك من الترعة قريباً من الساقية . . وإياك أن يلهيك الصيد عن المراقبة . . ولا تنس أن تأخذ «روميل» معك !

دخل «عامر» منزل العمدة وهو يلهث ، واتصل بوالده

الوالد : مالك تلهث يا «عامر» ؟

عامر : جئت إلى دار العمدة عدواً ؟

الوالد : ولماذا هذه العجلة ؟ هل هناك ما يستدعى منك العدو ؟

عامر : المسألة عاجلة وخطيرة ! وتستوجب حضورك !

الوالد : خطيرة ! ! أية مسألة ؟ هل حدث لأحدكم مكروه ؟

عامر : أبداً . . نحن بخير . . فقط لا يمكننى أن أصرّح فى التليفون !

الوالد : هذا ما كنّا نعمل حسابه ! ! لابدّ أنكم انغمستم فى مغامرة جديدة ! .

عامر : نرجوك يا بابا أن تحضر فوراً ! فالوقت ضيّق !

الوالد : بعد نصف ساعة فقط وهى مسافة الطريق بالسيارة !

أنهى «عامر» مكالمته مع والده ، ورجع إلى المنزل حيث طمأن إخوته بأن والدهم فى طريقه إليهم بالسيارة . .

وكانت «أم شلبى» أسعدهم بنبأ وصوله ! فحضوره سوف يخليها من تحمل مسئولية هؤلاء الشياطين الصغار ! وكفاها ما جرى لها حتى الآن فى هذه الدار !

خطة «عامر» !

عامر

كان «سمارة» يجلس وحيداً على حافة الترعة ، وهو يدلى بصنّارته فى الماء . وكان يبدو للناظر إليه أنه مستغرق بكلّ حواسه فى عمليّة الصيد . ولكن فى الحقيقة كانت إحدى عينيه على الطُّعم ، وعينه الأخرى على الساقية القريبة !

وكان المكان المنعزل خالياً من المارة ، لا يعكّر صفوه إلا نهيق الحمير ، وخوار الجاموس ، ونباح الكلاب !

وبينما هو كذلك مأخوذ بعملية الصيد والمراقبة ، وقد نسى الدنيا وما فيها ، إذا به يفيق بغتة على صوت أجش يحدّثه من الخلف !

صحا «سمارة» على هذا الصوت المألوف ، الذى لن ينساه مدى الحياة ، إنه صوت «عويضة» ، الذى كان يقف وراءه منتصب القامة كالطود الشامخ !

ذعر «سمارة» فى أول الأمر ، ولكن نفسه هدأت عندما لم يُبْد «عويضة» أية دلالة على معرفته إياه . .

فقد كان «سمارة» يخفى وجهه بكوفيته اتقاء للبرد ، حتى لم يعد يظهر منه غير عينيه وأنفه . . .

بدأه «عويضة» الحديث ، وكانت نبرات الشك تبدو واضحة فى صوته ، فقال له : ماذا تفعل هنا أيها الصبى فى هذا الصقيع ؟ !

تردّد سمارة فى الإجابة بعض الوقت لئلا يكتشفه «عويضة» من صوته . ولكنه أجابه بعد أن حاول جهده تغيير معالم صوته ونبراته !

كما ترى ! أحاول أن أصطاد قرموطاً ! .

عويضة : ألم تر أحداً فى هذه الناحية ؟

سمارة : لماذا تسأل ؟ . . والمكان خالٍ كما ترى ؟ فلا يوجد غيرى وغيرك !

عويضة : لقد سطا الأشقياء على غيطى القريب . . وقمت بإبلاغ نقطة سنديون . . فهل لمحت أحداً من رجال البوليس هنا ؟

آه من الخبيث ! . . إنه يريد أن يتأكد من أن سرّ سبائكه الذهبية مازال سرًّا مكتوماً !

فأجابه سمارة دون تردد : لا . . أبداً ! . وما دخل الشرطة هنا ؟ ! . .

عويضة : ألم تسمع صوتاً غريباً لفت نظرك ؟

سمارة : لم أسمع غير صوت الحمير والجاموس والكلاب !

عويضة : أقصد صوت . . . صوت ساقية مثلاً ! !

سمارة : ساقية ! . . لا يوجد فى كل الناحية غير هذه الساقية . . وهى مهجورة منذ سنوات طويلة لم يقربها أحد ! !

عويضة : آه ! أهى كذلك ! لم أكن أعرف ذلك !

ظهرت علامات السرور والارتياح على وجه «عويضة» ، وما إن هم بالانصراف حتى ظهر «روميل» فجأة أمامه ، وكان فى جولة قصيرة بين المزروعات . وما كاد يلمح «عويضة» حتى كشر عن أنيابه ! ثم ذهب واحتمى فى «سمارة» إنه مازال يذكره !

أخذ «عويضة» يتفحّصه بإمعان ، ثم سأل «سمارة» وهو يظهر الشكّ : أهذا كلبك ؟

صمت «سمارة» وهو يتردّد فى الإجابة . إذ كيف ينسى «عويضة» ذلك «الثعلب» الذى أطلّ عليه من نافذة المطبخ ، ثم هاجمه وأنشب مخالبه فى ساقه دفاعاً عن صاحبه ! .

وأخيراً قال «سمارة» بصوت مرتعش :

– أظن ذلك !

عويضة : تظن . . ألا تعرف كلبك ؟

سمارة : هذا النوع من الكلاب ينتشر فى هذه الناحية ! وكلها تتشابه ! قد يكون كلبى . . وربما لا يكون !

عويضة : أذكر أنى رأيت هذا الكلب بالذات من قبل ! ولكنى لا أذكر أين ! . . ومتى ! . .

سمارة : أنت مخطئ ياسيدى ! لقد وصلت بكلبى من القاهرة منذ ساعة فقط !

أخذ «عويضة» يعمل فكره ليتذكّر هذا الكلب العجيب . ولكنه عجز عن ذلك ، فهزّ رأسه وانصرف . إن لديه ما هو أهم من هذا الكلب ! وما كان يهمّه هو الإطمئنان على سبائكه الذهبية ، وأن أحداً لم يقترب من الساقية . وهاهو ذا قد اطمأن عليها ! . لقد طمأنه عليها ذلك الصيّاد الصغير البرىء من حيث لا يدرى !

انزاح الكابوس الثقيل من قلب «سمارة» ، وهدأت نفسه قليلاً . كان لا محالة هالكاً لو تذكّر «عويضة» كلبه «روميل» ! ولكن الله ستر ، وطمس على ذاكرته ! . .

ولكنه كان يضحك فى باله على خيبة «عويضة» الثقيلة .

ويالها من مفاجأة مذهلة منتظرة . . لن تخطر له على بال . . هو وأعوانه الأشرار !

انصرف «سمارة» عائداً إلى المنزل ليحذّر «عامر» وليخطره بأن

«عويضة» يحوم حول الساقية ليطمئن على كنزه !

وعندما دخل الردهة ، فوجئ بالمغامرين الثلاثة وهو يلتفون حول والدهم يتحدثون إليه .

كانوا يتسابقون فى سرد ما صادفهم من وقائع غريبة فى المنزل ، وهو يستمع إليهم فى عجب ودهشة ، فقال الوالد : لقد حيّرتمونى ! ! لى ربع قرن وأنا أواظب على الحضور إلى هذا المنزل ! . ولم أسمع صوت هذه السقاطة مرة واحدة ! أو انتقال خيال المآتة من مكانه ! . . أو إدارة هذه الساقية المهجورة ! . .

ثم تنبه «عامر» إلى وجود «سمارة» فى الردهة ، فسأله : ماذا جاء بك يا «سمارة» ؟ ولماذا تركت مركز المراقبة ؟ . .

سمارة : لقد ظهر «عويضة» بقرب الساقية ، وتحدّث إلىّ . ولكنه لم يتعرّف علىّ . . وقد لاحظت عليه القلق الشديد ! .

عامر : أعتقد هذا لأنهم يستعدّون لنقل السبائك الذهبية هذه الليلة !

نظر الوالد إلى «عامر» فى دهشة ، وكأنه لا يصدق أذنيه ، فصاح :

الوالد : سبائك ذهبيّة ! ! أهناك سبائك ذهبية أيضاً ؟ ؟ أين ؟ ؟ . فى المنزل ! ! . . لا علم لى بذلك !

عامر: كنت سأخبرك بها حالاً.. السبائك موجودة الآن فى الساقية!

الوالد: سبائك ذهبية فى الساقية!! أية ساقية؟ الساقية المهجورة؟ هل أنت متأكد؟

عامر: نعم.. أربعون سبيكة ذهبية! فى كل قادوس عشر سبائك! لقد عددتها بنفسى!

الوالد: هذه مسألة خطيرة لا يجب السكوت عليها.. لم أسمع فى حياتى خبراً أعجب من هذا!

عامر: ولهذا تحدثنا إليك فى التليفون.. لأن المسألة عاجلة جداً كما ترى!

الوالد: وهل أبلغتم النقطة؟ ماذا تنتظرون!..

عالية: كنّا ننتظر حضورك يا بابا لتقوم بنفسك بهذه المهمة!!..

وهنا تدخّل «**سمارة**» وقال:

على كل حال السبائك فى أمان.. سأقوم بحراستها بنفسى حتى يحضر البوليس!

ضحك الوالد على قول «سمارة»، بالرغم مما كان يشعر به من خوف وقلق بالغ. فهو يدرك تماماً أن مثل تلك العصابات الخطيرة

التى تعمل فى تهريب الملايين، لن تسمح بأن يقف نفر من الأطفال المغامرين عقبة فى طريقها. بل هى ستلجأ حتماً إلى جميع الوسائل غير المشروعة لإزالتهم من سبيلها!!..

أما المغامرون فكانوا على عكس والدهم. كانوا يشعرون بالهدوء والفرح والسعادة. إن مغامرتهم قد قاربت نهايتها – أو هكذا ظنوا – بعد أن أدّوا واجبهم فيها على أكمل وجه. لقد انتصروا على الجريمة بشجاعتهم وذكائهم وحُسْن تصرّفهم!

° ° °

جلس ضابط نقطة «سنديون» فى الردهة، ومن حوله التف المغامرون. وكان الضابط ينصت إلى «عامر» باهتمام غير عادىّ، وكأنه يستمع إلى تقرير مفصّل يدلى به أحد ضباط المباحث! ولكنه كان ما بين مصدّق ومتشكّك! إنه لا يصدّق أن هؤلاء المغامرين الصغار قد أقدموا على مثل هذا العمل الذى يعجز عنه بعض الرجال!

وبعد أن انتهى «عامر» من سرد تقريره، قال الضابط: إن عملكم الجليل ساعدنى كثيراً. لقد وصلتنى «إخبارية» باحتمال وجود عصابة دولية لتهريب الذهب فى محافظة القليوبية! ولكنى لم أكن

أتصوّر أنها فى منطقة اختصاصى «بسنديون» حتى علمت ذلك منكم الآن !

عامر : وكان من السهل علينا أن نحمل السبائك إليك !

عارف : ولكننا آثرنا أن نتركها فى مكانها حتى ترجع إليها العصابة ، وعندئذ يسهل القبض عليها فى حالة تلبّس !

سمارة : وكنت أنا أحرس الساقية حتى لا يستولى اللصوص على الكنز ! وجاء زعيم العصابة يحدّثنى .. ولكنى لم آبه به ! ! ..

عالية : .. سوف تقع العصابة فى المصيدة .. إنهم لن يفلتوا من أيدينا ! ! . فنحن نقف لهم بالمرصاد !

الضابط : ما فعلتموه هو عين العقل .. لقد أحسنتم التصرّف بذكاء وفطنة وشجاعة .

عامر : لقد أدركنا أن القبض على العصابة أهم من العثور على الذهب ! ..

الضابط : هذا صحيح .. والآن .. هل يمكن لأحد منكم أن يتعرّف على أفراد العصابة ؟

سمارة : أنا ! فزعيمها «عويضة» ضربنى ضرباً مبرحاً مازال أثره على جسدى ! ..

الضابط : وهل تعرفه إذا رأيته مرة ثانية ؟ ..

سمارة : وكيف أنساه ! لقد كنت أتحدث إليه من ساعة فقط !

نظر الضابط إلى «سمارة» بارتياب ! وقال : هل أنت متأكد منه؟ وأين رأيته ؟ وماذا دار بينكما من حديث ؟

سمارة : رأيته أول مرة فى المطبخ ، عندما ضربنى «العلقة» .. وحبسنى فى الكرار أنا وكلبى ! وثانى مرة اليوم بجوار الساقية .. وقال لى إنه ينتظر وصول البوليس للتحقيق فى بلاغ قدمه بسرقة محصوله !

الضابط : هذا غير صحيح فهو كاذب ! لم يصلنى اليوم أى بلاغ ! وليس فى هذه الناحية كلها فلاح يحمل هذا الاسم ! ..

سمارة : وسألنى أيضاً عن الساقية المهجورة !

الضابط : إنه يريد التحقّق من عدم معرفة البوليس بنشاطهم .. وأن السبائك مازالت فى مكانها بالساقية ! .. فلندعهم يعتقدون ذلك ... وسنضع خطّتنا على هذا الأساس ! ..

...

كانت الخطة بسيطة وإن كانت تدل على الذكاء والجرأة . وكان الفضل فى رسمها – كما أقر الضابط بنفسه – للمغامرين الثلاثة ، وعلى رأسهم «عامر» الرأس المفكّر المدبّر !

وما الغرابة فى ذلك ، وهم قد اختبروا المنطقة جيداً ، وعرفوا كل شبر فيها . كما تعوّدوا الآن على الكثير من سلوك رجال العصابة وحيلهم

ذعر «سمارة» أول الأمر ولكن نفسه هدأت عندما لم يبد «عويضة» معرفته إياه.

والاعيبهم التى قاسوا منها الكثير. وخصوصاً «سمارة» الذى وقع فى أيديهم، وتعرَّف على زعيمهم «عويضة» وزميليه . . . .

هذا بجانب أن وجود المغامرين على مسرح العملية لن يثير أية شبهة. بل هو شىء طبيعى لا يلفت النظر! . . أليس المنزل منزلهم؟ والغيط غيطهم؟ والساقية ساقيتهم! ! . . بل بالعكس . . إن غيابهم المفاجئ قد يثير تساؤل العصابة! . .

وقد بنى المغامرون خطتهم على أساس أن لا خوف من تسلّل الأشقياء، وحصولهم على السبائك، ثم الفرار بها فى جنح الظلام. إذ لابدَّ لهم لتنفيذ ذلك من إدارة الساقية! وعندئذ تُطْبِق عليهم قوة مسلّحة من رجال الأمن عند سماعهم نعيرها.

واقترح «عامر» أن تكمن هذه القوة فى منزلهم، حيث يسهل عليها أن تطبق على العصابة فى ثوان معدودات، وقبل أن يفلتوا بحملهم الثقيل الغالى الثمين!

ولم يستبعد «عامر» عند وضع الخطة، أن يلجأ الأشقياء إلى النزول بأنفسهم فى بئر الساقية وانتشال السبائك، دون الحاجة إلى إدارتها! إذ قد يتعذّر عليهم مثلاً العثور على جاموسة . . أو ليتفادوا ذيوع صوتها فى سكون الليل! . . أو لأى سبب آخر . .

وفى هذه الحالة كان لا مفر من اشتراك المغامرين الفعلىّ مع القوة

المسلحة فى العملية ! ! إن فى ذلك ضماناً لنجاح الخطة . .

* * *

كان أول ما فعله المغامرون هو التسلل إلى المبنى الذى أخفت فيه العصابة الدرّاجات الثلاث . وكان ذلك بعد أن استكشف لهم « سمارة » الطريق والمكان . . فوجده خالياً .

وهناك وجدوا الدراجات كما تركوها ، تختفى تحت أكوام القش . فما كان من « عامر » إلاّ أن أسرع فى فكّ صواميل عجلاتها ، وتركها فى مكانها ، ثم أهال عليها أكوام القشّ كما كانت ، ثم قال :

عامر : هذا من باب الاحتياط ؛ حتى نمنعهم من الهرب بها ! سوف يُطرحون أرضاً إذا حاولوا ركوبها . . أو استعمالها فى حمل السبائك ! هذه أولى مفاجآتنا لهم !

عالية : ياله من منظر مضحك فريد كان بودّى أن أشاهده ! عندما يهوى « عويضة » بالدراجة فى الترعة ! . .

ثم سار « عامر » إلى مكان يواجه الساقية على حافة الترعة ، حيث ينمو حرش من البوص والغاب الكثيف . وبعد أن عاينه قال :

عامر : هنا ستكون منطقة مراقبتى . . هذا المكان يصلح للاختفاء ! ولن يخطر على بالهم أن هذا البوص الشائك يضم شخصاً !

عالية : ولكنه قريب من الساقية . . لا يا « عامر » ! أنت كمن يضع نفسه فى عرين الأسد !

عارف : وماذا لو اكتشفوك ؟

عامر : المهم أن أصدر الإشارة المتفق عليها إلى القوة أولاً . . ثم أقفز إلى الماء . . وفى طرفة عين سأكون على الشطّ المقابل . . ولن يلحق بى أحد منهم . . أو يكتشفنى فى الظلام . .

عالية : ولكنك ستصاب ببرد ، فالماء بارد !

عامر : لا خوف علىّ ، لقد تعوّدت على الماء البارد فى تدريبات بطولات السباحة . .

وكان دور « عارف » هو همزة الوصل ما بين القوّة المرابطة فى المنزل ، وبين الخارج . إن تحركاته فى المنطقة لن تثير شبهة أحد ! . .

هذا علاوة على رعايته لأخته « عالية » ، ووالده ، و « أم شلبى » ، التى كانت فى حالة يرثى بها من الهلع !

أما « سمارة » فقد اعترض على دوره فى أول الأمر . ولكن ما لبث « عامر » حتى أقنعه به ، وبدّد مخاوفه ! فقال له :

عامر : وما هو اعتراضك على مهمتك ؟ فعهدى بك الشجاعة !

سمارة : المكان الذى سأكمن فيه موحش . فهو يقع وسط

بساتين البرقوق ! وهو الطريق الذى نرجح أن العصابة ستسلكه و . .

فقاطعه « عامر » وهو يحاول أن يدخل الطمأنينة إلى قلبه ، وقال :

عامر : العصابة لن تتعرف عليك وأنت متنكر فى صورة « خيال المآتة » ! ! سنحاول أن نجعل منك صورة طبق الأصل من « شلبى » !

سمارة : وهذا هو اعتراضى ! ! . . لقد فشلت مرّة وأنا فى صورة نمر ! ! فما بالك وأنا فى صورة « خيال المآتة » ! ! . .

ضحك « عامر » عندما تخيّل « سمارة » وهو فى زىّ « خيال المآتة » ، يقف بالساعات لا يتحرك ، مادًّا ذراعيه فى صقيع الليل وسط بساتين الفاكهة !

عامر : لا أهمية للفشل . . المهم أن نحاول وتنجح ! .

وبعد أن انتهى المغامرون من معاينة مسرح العملية ، ومراجعة أدوارهم بكل دقة وعناية ، عادوا إلى منزلهم ، انتظاراً لحلول الظلام !

الكمين !

روميل

وعندما هدأت الحركة وساد الظلام ، دخلت القوة المسلّحة منزل المغامرين فى هدوء وحذر ، بقيادة ضابط النقطة . فاستقبلهم الوالد بالترحاب ، فى حين كانت «أم شلبى» تختفى فى حجرتها بعيداً عن الأنظار !

وكان «عامـــر» و«سمارة» على أهبة الرحيل ، كلّ إلى موقعه المتفق عليه فى الخطّة !

فارتدى «عامر» ملابس قاتمة ، لتخفى شبحه فى الليل وسط حرش البوص على حافة الترعة ، ووضع بطاريته فى جيبه .

أما «سمارة» فوضع طاقية على رأسه ، وكوفية حول عنقه ، وارتدى جاكتة مهلهلة ، وسروالاً ممزّقاً .

وكانت «عالية» تختلس النظرات إليه وهى تبتسم ، ثم قالت :

عالية : مسكين «سمارة» ! سيقف طول الليل كالديدبان ساكناً

بلا حركة . . فارداً ذراعيه ! . . إنه سينافس «شلبى» ! أرجو ألا يلقى مصيره !

الضابط : نحن الآن فى الانتظار . وسنكون فوق رءوسهم بعد قليل من سماع صوت الساقية ! حتى نعطيهم الفرصة لاستخراج السبائك ، فنقبض عليهم متلبسين !

عامر : أما إذا نزل أحدهم إلى البئر بنفسه لاستخراج السبائك كما أتوقع . . فسأصدر لكم إشارة ضوئية خاطفة من وراء البوص !

سمارة : وأنا إذا لمحت «عويضة» أو «أبوسريع» فى طريقهما إلى الساقية ، فسأطلق ساقى للريح بين الأشجار حتى أصل إلى المنزل لأنبهكم ؟

الضابط : اتفقنا . . أتمنى لكما النجاح . . وأوصيكما بالحذر . . فالخطة كلها تتوقف عليكما ، وحسن تصرفكما !

• • •

كان الجوّ المخيّم على المكان مقبضاً . فالسماء ملبّدة بالغيوم ! والرياح راكدة ! ونقيق الضفادع يصمّ الآذان !

افترق «عامر» و«سمارة» عندما وصلا قرب الساقية . وقبل أن يفترقا أوصى «عامر» «سمارة» بالتيقظ وحسن التصرّف ، قائلاً :

عامر : عليك يا «سمارة» باليقظة ، وإياك أن تغفو ثانية واحدة !

إن مهمتك دقيقة وخطيرة .. ولن يهبّ أحد لنجدتك وسط بساتين البرقوق المقفرة .. واحذر الثعالب !

أما «عامر» فقد عاين الساقية والمبنى الطينىّ والدّوار للمرّة الأخيرة . وبعد أن اطمأن على وجود الدرّاجات فى مكانها ، ذهب إلى مخبئه وسط البوص .

تحمّل «عامر» وخز الشوك فى صبر وأناة . فإن أحداً من الأشقياء لن يخطر على باله أن عيناً تتربّص لهم فى هذا المكان الضيّق الشائك !

قبع فى مكمنه وكلّه آذان صاغية مرهفة . وبالرغم من حلكة الليل ، كانت عيناه الحادّتان تخترقان الظلمات . فقد تنشق الأرض عن «عويضة» وأعوانه فى أية لحظة ! وعندئذ سوف يتأهب لإعطاء الإشارة المتفق عليها إذا نزل أحدهم البئر ! ثم ينتظر هجوم القوات ليشترك معها فى القبض على الأشقياء .

أما المسكين «سمارة» فكان يقف وحيداً وسط غابة كثيفة من أشجار الفاكهة . وكان يتلفّت فى الاتجاهات الأصلية الأربع ، فهو لا يعلم أى طريق سوف تسلكه العصابة ! فهى قد تفاجئه من يمينه أو يساره .. من أمامه أو خلفه ! وربما لا تسلك هذا الطريق إطلاقاً ! أو ربما لا تظهر اليوم .. إنما غداً .. أو بعد غد ! من يعلم ! على كل حال ها هو ذا فى انتظارهم على استعداد !

افترق «عامر» عن سمارة فى طريقه إلى مخبئه بين سيقان البوص .

ولكن ماذا يهمه من كل ذلك ! إنه سوف يقوم بالمهمة الشاقة المكلّف بها على أتم وجه ، بالرغم مما قد يصادفه من مخاطر وصعاب .

وهذا بطبيعة الحال إذا لم يخرج عليه ثعلب من وسط الأشجار ! ! . .

وفى هذه الحالة سوف يولى الأدبار !

° ° °

قاربت الساعة الثانية بعد منتصف الليل . وكان « عامر » ينظر فى ساعته الفوسفورية فى قلق بين الفينة والفينة . لقد ابتدأ النعاس يغالبه بعد أن حلّ به التعب والإرهاق ، ولولا صوت نقيق الضفادع المزعج الذى كان يؤرقه لنام !

ولكن لا حسّ ولا خبر عن « عويضة » وعصابته !

رجح لديه أن العصابة لن تأتى الليلة فى طلب السبائك ؛ وكاد اليأس ينتابه ، عندما وصلت إلى سمعه أصوات خافتة تأتى من بعيد ، يصحبها وقع أقدام .

ثم ظهرت أمامه فجأة ثلاثة أشباح تحوم حول الساقية . ولكنه لم يتمكن من التمييز بينها فى الظلام . ثم مالبث أن سمع الحديث التالى يجرى بينهم :

الشبح الأول : لماذا رفض « رفاعى » أن يعطيك جاموسته ؟ وماذا قال لك ؟ وكيف ينكص وعده معنا ؟ الويل له منى !

الشبح الثانى : قال إنه سيحلب الجاموسة ، فطلبت منه جملاً . . فقال إنه سيحمّله بالحطب من الغيط ! . .

الشبح الأول : لابد من استخراج السبائك هذه الليلة بأى ثمن ! حالاً ! فقد يضيّع هؤلاء الصغار كل مجهودنا هباء !

الشبح الثالث : لك حقّ ! فهذا الصبى الذى كان يلبس جلد النمر رأى الصناديق ! وهو لن يسكت على ذلك ! بل سيقيم الدنيا ويقعدها علينا !

الشبح الثانى : وما العمل الآن ؟ نحن فى ورطة !

الشبح الأول : لا حاجة لنا بجمل أو جاموسة لإدارة الساقية . بل بالعكس قد يلفت نعيرها الأنظار ! يستحسن أن نعمل فى صمت !

الشبح الثانى : ولكننا لن نقدر على إدارة الساقية بسواعدنا !

الشبح الأول : قلت لا داعى لذلك ! ! . سأدلى بحبل متين تهبط به إلى قاع البئر . . لتستخرج السبائك من القواديس . . ثم تضعها فى هذه الزكيبة . . ونرفعك بالحبل إلى أعلى !

رأى « عامر » الأشباح الثلاثة وهى تتسابق نحو بئر الساقية . وكان وهو يخرج بطاريته من جيبه يهتز من الإثارة ، استعداداً لإصدار

الإشارة . ثم انتظر قليلاً حتى يتأكد من نزول الشبح إلى البئر ، ويبدأ فى إخراج السبائك . .

ولكنه فوجئ بالشبح الأول وهو يقول : اذهبا واحضرا الدرّاجات أولاً ، حتى تكون جاهزة لحمل السبائك بمجرّد خروجها ! ! . .

كادت تصدر عن «عامر» صيحة تفضحه ، وهو يستمع إلى تعليمات الشبح إلى أعوانه ! إن الخطّة التى وضعوها أصبحت الآن على وشك الفشل . يالخيبة الأمل ! لقد كان النجاح وشيكاً وأكيداً ! لقد ذهب مجهودهم عبثاً .

فالأشقياء سرعان ما سيكتشفون أن يداً غريبة حلّت صواميل الدرّاجات وعطّلتها ! . . سيدرك «عويضة» وأعوانه أن هؤلاء الصبية قد كشفوا الستار عن عملهم . . وأبلغوا عنهم . . وأنهم الآن مراقبون محاصرون ! ! . .

لا وقت الآن أمام «عامر» للتفكير أو الانتظار . لابدّ أن يتخذ قراره بأسرع من لمح البصر ! وقبل فوات الأوان !

لا جدال فى أن أفراد العصابة سوف يلوذون بالفرار وسط المزارع والبساتين ، عندما يكتشفون ما أصاب الدراجات من تخريب ! . .

إنه برهان دامغ على أن سرّهم قد انكشف وذاع ! . .

فأخرج «عامر» بطاريته من جيبه ، وأصدر إشارته الضوئية الخاطفة

دون تردّد ! ودون انتظار اكتشافهم لما حدث للدراجات ، أو النزول إلى البئر ! . .

لم يتنبه الأشقياء إلى الإشارة ، فقد كان اثنان منهم داخل المبنى الطينى ، والثالث ينتظرهما على الباب ، وهو يحثهما على الإسراع ! .

قدّر «عامر» أن تصل القوة إلى الساقية فى أقل من ثلاثين ثانية ، تقطع فيها عدواً مائة المتر ، التى تفصل الساقية عن المنزل . أى قبل أن يفيق الأشقياء من المفاجأة التى تنتظرهم داخل المبنى . وقبل أن يتمكنوا من الفرار ! . .

وماكاد الشبحان يدخلان المبنى ، حتى سمع «عامر» صياحاً يصدر من داخله . كان الذعر يتخلّل نبرات هذا الصوت وهو يصيح :

– لقد ضعنا يا «عويضة» ! ! . .

عويضة : ماذا تقول يا «أبوسريع» ؟ من الّذى ضاع ؟ ! .

أبوسريع : نحن يا «عويضة» ! ! رحنا فى داهية ! ! . . لقد كشفنا هؤلاء الشياطين الصغار !

عويضة : ما الّذى حدث ؟ . . تكلّم ! ! . .

أبوسريع : إن يداً فكّت العجلات ! ! يالخيبتنا الثقيلة ! !

عويضة : ماذا تقول ! هذا مستحيل ! لا أحد يعلم بوجودها فى

هذا المكان !

أبوسريع » : لقد تغلّب علينا هؤلاء الشياطين الصغار ! إنهم يعلمون كل شيء عنا ! . .

عويضة : إذن هيا بنا نسرع بالفرار قبل أن نقع فى كمين ! ! . .

ولكن تحذيره جاء متأخراً . إذ لم يكد ينتهى من جملته ، حتى أطبقت عليهم القوة ، وأحاطت بهم من كل جانب . .

لم يجد «عويضة» وشركاؤه مفراً من الاستسلام دون إبداء أية مقاومة ، فى مواجهة المدافع الرشاشة والمسدسات المصوّبة إلى صدورهم ! . .

وكان «عارف» ، الذى وصل مع القوة ، يقف مع «عامر» على حافة الترعة بعد أن خرج من مخبئه الشائك ، وهما يضحكان ملء شدقيهما على خيبة «عويضة» وشريكيه !

أما «سمارة» فكان فى واد آخر ! حتى أصوات الحركة والصياح والصراع لم تصل إلى سمعه !

لقد بذل المسكين مجهوداً خارقاً جبارًا طول الليل . كان يقف ساكناً كالتمثال دون أن تصدر عنه حركة أو إشارة ، وهو يحاكى «خيال المآتة» ! إلى أن غلبه النعاس والتعب ، فخرّ صريعاً على

الأرض وراح فى سبات عميق ! . .

ولما قلق المغامرون على غيابه حتى الصباح ، خرجوا يبحثون عنه وسط البساتين الشاسعة ، إلى أن عثروا عليه وهو يرقد تحت شجرة باسقة . كان يرتجف من البرد داخل جاكتته المهلهلة ، وسرواله الممزّق ! و«روميل» المخلص يرقد تحت قدميه !

نظرت إليه «عالية» نظرة عطف وإشفاق ، وقالت :

– ياله من شجاع ! كانت مهمته شاقة صعبة ينوء تحت حملها الرجال ! ولكنه لم يفكّر فى أن يتخلّى عنها حتى خرّ على الأرض ! . .

فضحك «عامر» وقال : الحمد لله إنه سليم لم يلق مصير «شلبى» !

ولا تسَلْ عن فرحة «سمارة» عندما أيقظوه وعلم منهم بنبأ القبض على العصابة ، وقال انتظرتهم طول الليل وأنا أقف فى الصقيع حتى تجمّدت ! ولكن لم يجرؤ أحد منهم على الظهور ! ! . . فنمت ! . .

وكان والدهم يجلس على أريكة تتوسط الردهة ، عندما دخل عليه المغامرون بصحبة «سمارة» .

وكان الوالد يشعر بالزهو والفخار بأولاده البواسل الشجعان . ألم يمنعوا بجرأتهم وإقدامهم وذكائهم كارثة مالية كانت ستحيق

بالاقتصاد القومى لوطنهم ! . . .

جلس «عامر» إلى يمينه ، و«عارف» إلى يساره وهو يحتضن قطه «مرجان» .

أما «عالية» فافترشت الأرض على جلد النمر كعادتها ! . فى حين جلس «سمارة» على كرسى وهو يربت بحنان ظهر «روميل» . .

قال **الوالد** : اتصل بى ضابط نقطة «سنديون» يطلب مقابلتكم فى أمر هام . وفوق ذلك فهو يريد أن يدوّن أقوالكم فى محضر رسمى يرفعه إلى الجهات العليا الرسمية .

وفى صبيحة اليوم التالى ، وصل ضابط المباحث إلى المنزل ، وجلس فى مواجهتهم . وكان ينظر إليهم بإعجاب وهو يدوّن أقوالهم فى المحضر. ووجّه إليهم الحديث فقال :

– كلفت رسمياً أن أوجه إليكم الشكر نيابة عن سلطات الأمن . فأنتم قد أدّيتم خدمة جليلة للدولة ، بعد أن ثبت لدينا أن هؤلاء المجرمين العتاة هم أخطر مما كنّا نتوقع ! . .

إذ اتضح لنا بعد استجوابهم أنهم شركاء فى عصابة دولية متشعبة ، تعمل فى تهريب الذهب إلى بلدان الشرق الأوسط . وقد اتصلنا بالبوليس الدولى «الإنتربول» لمساعدتنا فى القبض على أفرادها بعد أن اعترفوا لنا بأسمائهم ! . .

عامر : وكم بلغت قيمة السبائك المصادرة ؟

الضابط : لقد أرسلناها إلى البنك المركزى لتقييمها . وهى تقدّر على كل حال بعشرات الملايين !

عارف : لو قُدّر لهذه السبائك أن تتسرب لانهارت أسعار الذهب فى أسواقنا ! . .

الضابط : لاشك فى ذلك ! ولكنكم منعتم وقوع هذه الكارثة ، ووقفتم فى سبيلها . لقد قمتم بعمل رائع سوف نذكره لكم دائماً . . .

عامر : إننا لم نفعل شيئاً . . هذا واجبنا أدّيناه !

عارف : ولو قُدِر لنا أن نعاود الكرّة لما ترددنا !

عالية : ومكافأتنا هى وقوع العصابة فى أيدى العدالة !

سمارة : ولا تنسوا «روميل» ! ودوره البارز فى العملية ! !